

مبادرة
القراءة بالمجانة



الكتاب: ذهب

الكاتب: سمية دويدار

رقم الإيداع: ٢٠١٧/٢٦٩٨١

ISBN:978-977-800-075-7

تصوير الغلاف: حازم العوضي

تصميم الغلاف: محمد عبد القوي مصيلحي

تدقيق لغوي - تنسيق داخلي:

www.sekoon.com



مدير النشر: فتحى المزين: 01282288056

Email: layanpub@gmail.com

لبان
للنشر
والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية

يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

سمية سعد دويدار

ذهب

مَذَاهِبُ ذَهَبٌ وَمَذَاهِبُ تُذْهِبُ

قصص

ليان للنشر والتوزيع

إهداء

إليكم..

أسرتي الصغيرة، دقة القلب ومهجة الفؤاد.

أبي.. الظهر والدعم والسند سعد دويدار.

أمي.. غاليتي أيقونتي، بوتقة الحب والاحتواء والحنان. حبيبتي زينب شاكر. أخي الحبيب الغالي حذيفة. إخوتي روح الروح ونور العيون. مستشارتي الرزينة أساء. الجندي المجهول الدائم لكل أحلامي مريم. أزواجهم الأفاضل. أشقائي الأعمام، إخوتي بالتبعية.. حسان عطا الله، ووسيم فؤاد.

إهداء وشكر واجب على دعم وتضحيات وحب مستمر لا يُقدر بثمن، بذل فيه الغالي والنفيس لأستعيد نفسي وأكونُ أنا مرة أخرى، وللمساعدة في المحافظة على بعضي وكُلِّي وكياني. بضعٌ من روحي ونبضٌ حروفي. عمار علاء الدين ومعاذ علاء الدين.. إليكم أحبائي الصغار الشكر موصول على تحمل الانشغال والغياب، ولكن لتتعلموا بالتجربة العملية الحية أن الوصول للهدف لا بد له من ثمن يُدفع مقدمًا.

أسرتي الصغيرة، كنزي الثمين، مهما فعلتُ لن أستطيع أن أوفيكم حقكم أبدًا.

إلى توأم روحي، صديقة عمري، شريكتي في السراء والضراء، مرااتي، عمّة أولادي، جوهرتي النادرة.. مروة محمد.

إلى عائلتي الكبيرة الجميلة.. دعاؤكم واهتمامكم مُلهم بالنسبة لي، لكم جزيل الشكر والحب والامتنان والتقدير.

استشاريتي الأسرية وصديقتي العزيزة د. حنان زين، استشاريتي وصديقتي الحبيبة إيمان فضة.. الحب والشكر موصولان ليوم الدين. صديقة الصبا أساء أبو بكر.. الرائعة المتفانية مروة المصري،.. الإنسانية بحق خديجة كامل، لا أحد يعلم إلا الله مدى حبي وتقديري لكُن ..

لمن وضعني على بداية الطريق وروى بذور القوة والأمل.. أستاذي محمد عاصم ومجتمعه الراقى في talant club، الحافز والطاقة والإيجابية.

إليكم فرداً فرداً أشكركم على كل صداقة ثرية تعني لي الكثير والكثير، على التشجيع والدعم، على السعي سوياً وتَحْطِي لحظات الضعف بصبر وجَلَد وأمل، لجلسات ومحاضرات وعلم لا ينتهي مهما تهلنا منه.. أنتم منحة الله على الأرض.

أصدقائي الأعزاء، عشرة العمر، طوق النجاة وقت الحاجة.. محمد جابر ومحمد فايز وأحمد رضوان وأسامة وعصام وأحمد الجمل وأشرف ومحمد عاشور. إلى حبيباتي جيحي ودعاء وسماح وغادة وهويدا ورحاب وهند. شكراً لكم في كل بقاع الأرض، حتى وإن عَزَّ اللقاء كثيراً كالماضي، يظل يربطنا حبل وثيق من العشرة والوفاء والذكريات، صداقتكم وسام أفتخر به طوال حياتي، وجميلكم يُكبلني العمر كله. إليكم جميعاً..

من صميم فؤادي وعميق وجداني.
أهديكم مولودي الأدبي الأول.. «ذهب».

سمية سعد دويدار

قَتُلُكَ بَدِيمٍ بَارِدٍ يُشْعَلُكَ وَيُحْيِيكَ بِقَلْبٍ مَيِّتٍ، لَتَحْيَا لِنَفْسِكَ وَلَا
تَهَابُ الْمَوْتَ.. لَقَدْ فَعَلَهَا وَمَاتَ قَبْلًا.

المقدمة

ندرك أننا نكبر في العمر عندما تتغير نظرتنا للأشياء حولنا، فنؤثر فيها وتؤثر فينا بشكل ملحوظ. يصبح من المتوقع أن نحب ما كنا نكره، ونكره ما كنا نحب، ولكن من غير الطبيعي وغير المفهوم أن يمتد ذلك إلى المسلمات والبدييات في الحياة من قيم وأخلاق وسلوك قويم. عندما يحدث ذلك نُصبح في زمن المسخ، عندها تتحول قيمة الأشياء إلى قيمة أهم وأعلى من قيمة البشر، فتُصبح علاقتنا بقطع ملابسنا وخطورتنا أكثر أهمية من علاقتنا بأولادنا وفلذات أكبادنا، نختارها أفخم البراندات وأعلى الماركات، نتمسك بها لأنهم أوريجينال، قيمة مزيفة تستحوذ على تفكيرنا واهتمامنا بأنانية مفرطة، دون أن نُعير أولادنا أدنى اهتمام أو تفكير في احتياجاتهم ومصالحهم النفسية والمادية، وننسى وبتناسى التمتع بقرّة أعيننا وإمتاعهم بنا قبل فوات الأوان، رغم أن أولادنا نسخة واحدة لن تتكرر أبدا حتى لو تزوجنا وأنجبنا آلاف المرات، فكل طفل من أولادنا البراند الأوريجينال الخاص بنا على حدة دون العالم بأسره، مع استحالة وجود نسخ أخرى ماثلة، فهم صنع رباني لجوهرة صنعت قطعة واحدة متفردة باهظة لا تُقدر بثمن، حباننا بها الله زينة لنا في الحياة الدنيا، ولتكون سبباً للنعيم في الآخرة، فلتحلّ بزيتنا ولتتمتع بأماناتنا الأوريجينال التي نخصنا قبل فوات الأوان.

تزوير

لا بُدَّ مما ليس منه بُدُّ. تنطلق تنهيدة حارة حبيسة صدرها المتألم القلق. حان وقت نزولها اليومي واحتكاكها بالعالم الخارجي والتعامل مع البشر، لا مفر من البدء، ستبدأ عملية التزييف واستعارة الملامح المزورة لبعض الوقت، بعضُ الوقت فقط وستعود لحقيقتها تمسك فرشاتها وبكل هدوء تطمس ملامح الوداعة والهدوء والسكينة وتُخفي معالم الألم والمرح والأمل، رويدًا رويدًا تصبح ملامحها صماء لا تشي بشيء. ها قد انتهت أول مرحلة كاذبة للتغيير. بسرعة وقبل أن تغيّر رأيها، تُمسك أدوات زينتها الخاصة التي اخترعتها بنفسها لتحمي وتقي روحها سرورًا لا يعلمها إلا الله. أخرجت كل المستحضرات الممكنة إستعمالها وهي تعتذر لنفسها، لا تحب الغش والخداع ولكن لم يعد بيدها حيلة، كلما تقاعست عن عملية تزييفها اليومية تتألم ولا بد أن يتم استغلال ذوقها واحترامها وابتزاز أذنها ورُقيها ويُقال لها ذلك صراحة في وجهها، هذا هو الوضع الراهن حاليًا للأسف، إلا من رحم ربي.

إذا تغاضت عن حقها لكبيرٍ تمادى في الخطأ، وإذا سمحت لسيارة بالمرور في دورها تسابقت باقي السيارات لتجاوزها والمرور قبلها دون تقدير.

تُدرك هذا بالتجربة الحية مرارًا وتكرارًا حتى أصبحت مجبرة على هذا التشويه اليومي بمجرد التعامل خارج إطار منزلها، بل في كثير من الأحيان تضطر إلى استعماله مع أقرب الأقربين، فلذات كبدها عندما يستشعرون حبها الزائد وخوفها وحرصها الشديد عليهم فيضغطون عليها بكل قوة بهذا الحب لكي يحصلون على ما يريدون منها، عند رفضها لطلب ما لضرره عليهم عاجلاً أم آجلاً.



تسحب نفسها بسرعة من أفكارها، وباحترافية شديدة وإتقان، تُبرز ما تريد إظهاره ورسمه من ملامح صلابة وقسوة. ها قد بدأوا في الظهور، بداية من عبوس وجهها وصرامة نظراتها وحدة صوتها. تتأكد من أفكارها، لا بد لها من استباق سوء الظن فيمن تتعامل معهم إلى أن يثبت العكس بالتجربة، إحسان الظن دون دليل غير وارد هذه الأيام، هو مهلكة مهلكة لا ريب. تنظر لقلبها، تطمئن، بابه مُوصد جيداً لن يعبره أي أحد من أول تعامل ولقاء، لا بد من الاختبار تلو الاختبار حتى يصبح من أولي الحُطوة لديها. تراجع قاموس كلماتها، تحمل في جعبتها بعض الكلمات الجارحة الخارجة، لا بأس بها إذا اضطرتها الظروف لاستعمالها. أخيراً تغيرت قسماتها وانتهت من استعمال أدوات زينتها السحرية لنفسها وروحها الهادئة. تنظر لنفسها نظرة أخيرة متفحصة وجهها وأداءها. أحسّت بالرضا عن عملها وإتقانها الشديد لعملية التحول.

بداخلها ثورة عارمة وغضب عنيف، إلى متى لا تتعامل بطبيعتها؟ ولا تتعامل إلا من خلال هذا التصنع والقناع وتقييد شخصيتها البريئة الرقيقة؟ إلى متى تُخفي روحها المنطلقة المُبهجة وتُسحق بيدها وردتها اليافعة اليانعة؟ وتبني بدلاً منها شجرة عقيمة كثيبة المظهر خشنة الملمس لا تُسر الناظرين؟ إلى متى ستظل سجينة أسوار ابتدعتها لنفسها تكون فيها السجينة والسجان في آن واحد؟ تصمّت أفكارها متحيرة، تثبّت القناع وتنطلق وتبقى تسأولاتها دون إجابات.

صُدفة

صدفة أمست طقسًا، يجبها ويرتقبها يوميًا. إنها هي مرة أخرى، ولكنه أعدّ العدة هذه المرة لاقتناصها. تشرب قهوتها المفضلة على طاولتها التي لا تغيرها بنفس التفاصيل كل صباح. بمجرد دخولها يتغير كل شيء حوله ويصبح له مذاقًا مختلفًا، حتى الصخب حوله يخفني كأن هدوءها وسحرها يشمل المكان كله، فيكسوه رقةً وعذوبة. شهران ولا بوادر لتجاوز هذه المرحلة. فليكن، سيأخذ هذه الخطوة لعله يستريح بعدها، إما أن تكون هي أميرة الأحلام، أو تنتهي قصة هذه الصدفة للأبد.

عقد العزم. دخل إلى صاحب الكافيتيريا، أصبحا صديقين من كثرة ترده على المكان، أخبره أنه يُعدّ بحثًا عن تأثير تناول القهوة الصباحية يوميًا على مدمنيها، وعلاقتها بعاداتهم وسلوكياتهم طوال اليوم. طلب منه أن يخبر الرواد الموجودين عن احتياجه للحديث معهم بضع لحظات، ليقوم باستكمال بحثه في الأمر، وهو متيقن من أنه سيتم اختيارها من عينة البحث لتناولها قهوتها الصباحية ها هنا كل يوم. لحظات وتهل عليه مبتسمة مشرقة.

- أهلاً وسهلاً.. اتفضلي يا فندم.

- أهلا بيك.

بنظرة ثابتة تسبر أغوارها، يسألها:

- ما أخبارك مع فنجان قهوتك الصباحي سيدتي؟



ردت عليه بلمعة عين ونظرة مشرقة تملؤها المعاني:

- صديقتي التي لا تملني. أحكي لها أسراري وتشاركني فرحي وأتراحي، وأظن أني سأحبها أكثر من ذي قبل، وأنها ستكون ملاذي وأماني.

اختيار

يصرخ بفرع ويُقهقه بفرح واستمتاع. يعلو صوته ويخفت بسرعة
بالغة، كلما اقترب منها أو بعد. يعيش لحظات حنونة مجنونة يسرقها
بغته من زمنه دون موعد.

يبتسم قلبها لبراءته وطهره الداخلي رغم قذارة بدنه الظاهرة
وملابسه التي كانت رثة ومهلهلة.

ألقت به الأقدار في طريقها، لم يكن موجوداً في عالمها منذ
ساعتين. كانت تائهة ضائعة لا تحس دفء شمس ولا حلاوة ربيع.
قريبة للكل بعيدة عن نفسها. ترى جمال الحياة وألوانها المبهجة
من صومعتها كأنها تنظر إليها بمنظار مكبر لا تستشعره أو تستمتع
به، لا ينقصها شيء سوى سريان الحياة نفسها في روحها وحياتها.
ساعتان فارقتان لكليهما معاً.

كان يئن على جانب الطريق كجثة هامدة، من شدة جوعه وارتجاعه
لقلة ملابسه وبرودة الجو التي تسحق روحه قبل عوده الأخضر.

لمست عيناه الذابلتان قلبها، دنت منه، فلاح لها شبه ابتسامة
مكسورة على شفثيه، أسرها بصمته، لم تستطع المقاومة، خلعت
رداءها وألبسته إياه. ارتعش صوته «جعان». لم تنطق كأنها مسحورة
به، أمسكت يديه الصغيرتين تساعده على النهوض بهدوء شديد.
تحشى عليه التفتت في يدها من شدة ضعفه.

صدم وهو لا يكاد يصدقها وهي تعرض عليه المطاعم القريبة
ليختار منها لأول مرة في حياته ما يجب من مطعم ووجبة ولعبة
بذوقه ومزاحه دون قيد أو شرط.



صامتًا، بنهم شديد يلتهم طعامه دون توقف أو استراحة، يعوّض حرمان سنوات مضت دون زَاد، ويشحن لأيام قادمة لن تخلّف عن سابق أيامه. انتهى من طعامه وظل صامتًا يرقبها لدقائق ثم نطق باستحياء «مكسوف أقول لك، بس لسه جعان»، وأردف قائلاً «عايز أكل تاني من الأكل إلي أكلته». أحسّت بغرابة طلبه، لا تفهم سر طلبه، كانت واثقة أن معدته امتلأت عن آخرها، ولكن لا بأس. وقفت تطلب له وجبة أخرى، فاليوم يومه.

فجأة يخاطبها «أنا آسف، أنا مش جعان، بس ماما جعانة وتعبانة أوي في البيت، وعايزها تاكل وتشبع يمكن تخف».

مادت بها الأرض تحت قدميها، صغير هو للغاية على هذا الألم والجوع وهذه المسؤولية والقهر. أسرها بتصرفه ونقائه «تعال معايا». بسرعة تتحرك وهي تنفذ قرارها، أخذته لمكان يبيع ملابس الأطفال، بُهت أمامه. سحبت أنفاسه أضواؤه المبهرة وأزياؤه الرائعة. شرعت تشتري له ملابس جديدة تحميه وتحتويه، علّها تعوضه قسوة الدنيا وجبروتها. يقفز من الفرحة ويصنفق غبطة وهو يجربها ويتحسسها بيديه، وهي تضيفي عليه جمالاً وبهاءً وينظر لنفسه في المرآة بزهو وثقة «آخر طلب هطلبه منك، نفسي أركب المترو وأنا لابس الهدوم القيافة دي عشان الأمن بيجري ورايا ويزعق لي وينزلوني ويقولوا ممنوع بتوع الزباله». يا لبساطة أمنياتك وبراءة أحلامك، سهلة وبعيدة المنال «يللا بينا على المترو». وبابتسامة منيرة داعبته «اسمح لي أطلب منك طلب، عشان إنت بتفكر في ماما هعمل لك مفاجأة، نروح الملاهي بعد المترو تلعب وتتسبط ونروح لماما نجيب لها كل إلي تحتاجه ونشتره سوا».

اختلط صراخه في رأسها من هول مفاجئها له وشدة فرحته عندما أخبرته بهذه المغامرة الخيالية بالنسبة له وبانفعاله وصخبه وهو يسحبها من يدها لتركبها ألعاباً أخرى، وهي تجري لتلحق به وتلبّي رغبته فرحةً مسرورة.

سعادته المفرطة تصب كنهر جارٍ متدفق في سعادتها وهنائها، وتهب حياتها لحظات نقيّة بريئة، قلماً يجود بها الزمان، تُدرك الآن أن الزمام بيدها لتعيش هذه اللحظات دوماً أو تعدمها للأبد.

هرجٌ ومرجٌ وحوقة عند دخولها عُشة محطمة يُفترض أنها مأواه «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، مقدرتش تستحمل البرد والمرض والجوع وقلة الدواء»، «ابنها الصغير دا يا حبة عيني ملهوش حد»، أصوات من هنا وهناك تتحدث بحزن وأسى تعزيه في فاجعته وتنعى أمه الراحلة وتحاول أن تشد من أزره.

هكذا يستقبله أهل الحارة هو وصديقته الجديدة بعد عودته محملاً بالخيرات من رحلته الأولى في مدينة الألعاب المصغرة ودخوله لمدينة الألعاب الكبيرة فجأة دون ظهر أو سند من الآن فصاعداً.

توقف مذهولة فاغرة فاها، يسقط كل ما تحمله في يدها من دواء وغذاء كان سيؤول إلى والدته، تحتضنه هو وبكائه دون صوت ودموع. صمت مرة أخرى ولكنه صمت للأبد هذه المرة، ظلّت واقفة تنظر له ولما حولها، تفكر وتفكر. لم يلزمها وقت طويل لتمسك بيده ثم تتحرك به عائدة من حيث أتت.

التوأم

تنطلق السيارة بسرعة كبيرة على الطريق أثناء سؤال معاذ بكل فضول عن المياة ذات الرائحة الكريهة النفاذة التي تحيط بالطريق على الحانبين وتقتحم السيارة مغلقة النوافذ وتزكم أنوفهم بشدة:

- إيه المية دي يا ماما؟.

- دي الملاحات يا حبيبي.

- يعني إيه؟.

- دا المكان اللي بيستخرجوا منه الملح.

- مش فاهم.

- طيب عايز تفهم إيه بالضبط؟.

- مش عارف؟.

أوقفت سما السيارة والتفتت إلى صغيرها ذو العشرة أعوام، جميل المحيّا ببراءة عينيه اللتين تشعان فطنة وذكاء، وصوته الممتلئ بالارتباك والقلق وعدم الثقة بالنفس. أمسكت بكفه الصغيرة بين يديها وضغطتها وهي تهتف:

- مش قادر.. مش فاهم.. مش عارف، ليه بس كدا يا حبيبي؟ ليه النظرة دي لنفسك؟ ليه شايف نفسك كدا؟ إنت رائع فعلاً وعندك كل الإمكانيات للتميز والتفرد، إنت صنعة الله. بلاش يبقي أسهل كلام عندك بالسلبية دي هيصعب عليك كل حاجة ويخلي دي فكرتك عن نفسك، والفكرة دي تتحكم فيك باقي حياتك وتبقى مرتبطة بيك عند كل الناس وراسخة في أذهانهم وطريقة تعاملاتهم معاك، رغم إنك بعيد عنها كل البعد. تعال.



احتضنته بكل قوة لُشعره بحبها وتزوده بجرعات متدفقة من الطاقة والأمل ثم نظرت في عينيه مباشرة:

- إنت مين؟.

- مش فاهم.

- تالانني، إسالني يعني ايه؟ بص يا سيدي، دور كدا جواك فين الإنسان الواثق بربنا ونفسه وعارف إن ربنا خلقه في أحسن صورة وعطاه كل حاجة ممكن يحتاجها في أي مكان ووقت عشان يعمل إالي عايزه، بس بشرط، وقت ما يحب ويعوز فعلاً، وميزه عن كل المخلوقات في العالم بالعقل كنز الكنوز، إنت يا معاذ عندك كنز جوه دماغك، عقلك، لما تستعمله صح تقدر تعمل كل حاجة إنت عايزها. لازم تثق فيه وتدي له الفرصة إنه يساعدك وإنه يطلع الوحش الجبار إالي جواك. جوه كل واحد فينا اتنين. تقدر تقول توأم. إنت عندك توأم جواك. واحد قوي وناجح وذكي ويقدر ويعرف ومتفائل وإيجابي. والثاني شايف نفسه ضعيف وسليبي ومستسلم بيستسهل الأعذار وبيكسل وبيعلق كل حاجة على الظروف ومش عايز ياخذ خطوة ولا حتى مجرد التفكير في أي حاجة غير إنه مش عارف. وربنا خلقنا نستحق أحسن حاجة في كل حاجة. وأي شيء عايز توصل له تقدر بإصرارك وسعيك واجتهادك توصل له. بلاش تستسلم أرجوك للكلام الهادم. صح يا عبقرينو؟.

- صح يا ماما.

- هااا، قرر.. عايز تبقي مين؟ حياتك اختياراتك أي توأم فيهم تختار يكبر ويظهر ويبقي صاحبك؟.

- أكيد القوي الناجح يا سمس.

- ممتاز قلنا الكلام دا كتير أوي طول الوقت إلي فات.. إنت تستاهل أحسن حاجة وتستحق أفضل حياة.. دور عليها واسع لها. طلّع ميزو القوي، خليه هو التوأم إلي يكبر معاك وجواك ويبقي هو الظاهر عشان توصل لكل أحلامك.

- حاضر يا ماما، بس ابقي فكروني كل شوية لو سمحت.

- الله عليك يا بطلي، إنت كدا بدأت تحط رجلك على الطريق.

- مش فاهم يا حبيبي.

- لأ قول عايز أفهم، أول حاجة غير الكلمة إلي بتستعملها خليها إيجابية مباشرة وواضحة عشان عقلك يفهمها ويشغل عليها صح. تحط رجلك على الطريق يعني لما قلت لي فكريني. إنت وضحت لنفسك ولعقلك وليّ إنك فعلاً عايز تتغير وتبقى أحسن وتعمل الصح وتتعلم وتتطور وبالطريقة دي تبدأ تمشي في الطريق الصح للوصول لبي إنت عايزه وأكيد هتوصل لأنك بدأت فعلاً واجتهدت وسعيت فيه من أول الفكرة لغاية التنفيذ.. فهمتني؟.

- يعني فهمتك شوية.

- جميل جداً، إحنا كدا بدأنا التغيير للأفضل، عايزين نمرن عضلات نحك تمارين كتير عشان تكبر وتبقي قوية زي عضلات جسمك بالضبط، زي الجيم وظيفته يطلّع عضلات الباي والتراي،



من دلوقت قرر تمرن عضلات خحك ولما عضلات خحك تبقي قوية
ما فيش حاجة تقدر توقفك عن أحلامك.. صح يا مان؟.

- صح يا سمس.

- وأنا متأكدة كل مرة هتبقى أشطر وهتتقدم بسرعة أكثر وأنا
معاك لغاية ما توصل وتبقى واثق من نفسك وتقدر تفهم كل
حاجة باجتهادك وتركيزك وتنفذها على أكمل وجه، لازم معاذ
الناجح القوي العبقري هو إالي يبقى ظاهر ويحركك، اتفقنا؟.

- اتفقنااا.

طريق التغيير طويل يحتاج للكثير من الوقت والمثابرة ولا يأتي
فجأة، وهي مُصرّة على أن تُكمل الطريق بنفس وتيرة المجهود
والحماس.

هذا ما كانت سما تُحدث به نفسها باقي الطريق. لقد كرهت
هذه الكلمات بالفعل من ابنها لعدم ثقته بنفسه نهائيًا وعدم محاولته
بالمرة الفهم والبحث عن معلومة. كل شيء يجب تقديمه على طبق
من ذهب دون أي مجهود وهي مُصرّة على جني ثمرة تعبها في زرع
وحصد معاذ الواثق في نفسه وعقله بمجهوده الشخصي البحث،
دون أي تدخل منها. هي في منتصف الطريق تقريبًا ومن المؤكد
أنها ستبدأ في جني الثمار قريبًا فيما تصلح وتقوّمه في سلوكيات
وتصرفات معاذ بعد اهتزاز ثقته في نفسه والعالم كُله من حوله منذ
انفصالها هي ووالده.

مضى عام كامل تُكرر ما تقوله له في كل مناسبة يجب أن يسمع

فيها كلامها الداعم. ستستمر حتى تصل لنتيجة مُرضية لها وترى محاولاتٍ يزينها النجاح مرةً تلو الأخرى.

مرت الأيام بسرعة بعام آخر من التقويم الهادئ والصبر والتأني والدعاء. اقتربت امتحانات نهاية العام الدراسي.

- ميزو يللا نخلص آخر مراجعة النهاردة. مين هيبقى مركز وشاطر بكرة في امتحان آخر السنة ويكون من المتفوقين؟

- أنا!!!!!!

- برافو حبيبي. يللا اقرأ القطعة دي وجاوب أسئلتها.

بدأ معاذ يقرأ. تُحدث نفسها «كل دي قطعة للمناقشة؟، كبيرة للغاية ومعظم الكلمات لم يتم دراستها في المنهج الدراسي من الأساس. يارب ماذا سوف تفعل بي يا معاذ بعد قراءتك لهذه الكلمات وهذه الأسئلة؟». انتبهت له، وجدته يقرأ بطريقة سلسلة بكل ثقة وتركيز. بدأ الوضع فعلياً في التغيير للأفضل والعمل على معاذ العامين الماضيين، بدأ يعطي آثاره المرجوة بنتيجة رائعة.

- الله يا معاذ، ممتاز فعلاً، يا ترى إيه الاخبار؟، فهمت كلمات القطعة؟.

- آه فهمت، والباقي فهمته من بعضه، يعني إيه إيلي ها يحصل؟ هيروح مني فين؟ كدا كدا فهمه، قدرت أعرف هو بيتكلم عن إيه وهبدأ أجاب.

تفاجأت سماً للغاية «الحمد لله، النتيجة مبهرة ومُرضية». بعد



عامين من العمل المتواصل بفضل الله اشتدت الساق الخضراء
وبدأت تُثمر وتُزهر ثمارها وحن وقت قطافها. ضمّته سما بفرحة
لا توصف وأخذت تقبله بقوة.

- سُفت بقى عضلات خحك لما قويناها بقيت ممتازة وقوية
إزاي؟ برافو عليك إنت عملت لي أحلى مفاجأة النهاردة فعلاً، إنت
سعت إنك تبقى أحسن واجتهدت وصبرت كثير تجرب، لغاية ما
وصلت للنتيجة الرائعة دي، برافو عليك. إيه المفاجأة إلي عاوزها
للشطرة بتاعتك دي؟ أنا فرحانة بيك جداً.

- هيبه، بجد يا ماما؟ هقول لك يا حبيبتى، أنا عايز cd بلاي
ستيشن فيفا ٢٠١٨.

- أووووه بجد؟ أنا مش فاهمة يا ميزو.

المعاش

بخطوات مرتعشة وعيون زائغة، تزحف بظهرها المنحني وهي تحمل طفلتها التي أعيهاها الجوع فنامت تعبًا والدموع تملأ عينها. تحاول أن تستريح في ظل بناية، من لهيب الشمس الحارقة التي تكالبت عليها مع التهاب معدتها المؤلم أشد الألم.

للمرة الثانية، تعدُّ كل ما معها من قروش لا تتعدى العشرة جنيهات. تحتاج لعلبة من اللبن لابتها تعدت الستين جنيهًا، وشريطًا من الدواء ليحد ولو قليلاً من آلام معدتها الحارقة تعدى الخمسين جنيهًا. سالت عبراتها تُغرق وجهها. أحسّت بروحها تُسحب منها وهي تذكر نفسها منذ لحظات وهي تستجدي موظفة الشؤون الاجتماعية لتُسهّل لها الحصول على معاش يسدُّ رمقها هي وابتها. تسأل نفسها لماذا يتعامل الضعيف مع من هو أضعف منه بهذه القسوة والتجبر؟ تُقسم لها بأغلظ الأيمان بأن كل الأوراق مستوفاة، ولكنها لا تملك ولو غرفة تقيها شر الذل والعوز والحاجة لجيرانها وأقاربها لبيات كل ليلة معهم وقضاء النهار بأكمله في الشارع. «صدقيني أتمنى لو كنت أملكها، لماذا تزيدني عليّ البلاء والمصيبة بدلاً من أداء دورك ومساعدتي في إيجاد مأوى لي ولصغيرتي التي تحلى عنها والدها أيضًا ولم يرها حتى الآن. جئتُ إليك أطلب معاشًا تعهدت الدولة بتوفيره للمطلقات ولكن بشرط توفر السكن، حاجتهن الماسة ومساعدتهن ولو بقدر بسيط على الحياة، فما بالك بمن لا تملك مسكنًا أصلاً؟ أيكون الحل حرمانها حتى المعاش الضئيل وزيادة همومها ومشاكلها وتحدياتها؟».



بلغ منها الحزن مبلغه مع بداية استيقاظ ابنتها وبكائها وتضورها
جوعاً وانتهاء آخر جرعات اللبن معها. امتزجت دموعها بدموع
ابنتها مع اقتراب رجل عجوز وقف بجانبها، مأل عليها وأعطاهما
خمسة جنيهاً. أجمتها الصدمة والمفاجأة، أخذت تنظر للجنيهاً
بدهشة، أهذا ما تنتظره وتبحث عنه بعد كل هذا العناء في البحث
عن عمل ومسكن؟ أن تجلس في الشارع تنتظر الإحسان والصدقة
والشفقة من المارة؟ أهكذا ينتهي مصيرها وتنتهي قصتها؟ أهذا هو
الحل؟

صياح ابنتها وصراخها سهّل عليها المهمة وبت التفكير بمقصلة
الجوع والألم، نظرت للأرض ورفعت صوتها «الله يا محسنين لله».

المولد

تقف في حيرة من أمرها في خضم الزحام، هو وقت الذروة، «مولد وصاحبه غائب» كما يقولون. لا مكان لقدم. اندفاع وجري وسباق، الجميع في محاولة للحاق بأي وسيلة مواصلات. لا أمل يُرجى في وجود سيارة خاصة تقلها لتصل مقابلتها في الموعد المقرر بلا تأخير. الوقت يمضي بسرعة مع احتمال هطول قريب للمطر إثر تجمع السحاب الكثيف وهبوب عاصفة رياح هوجاء تجعلها تترنح كريشة في مهب الريح، تقاوم بكل قوتها لكي تبقى ثابتة في مكانها ولا تندفع في بحر الطريق أو تفقد سيطرتها ويختل توازنها، بينما تتغلغل البرودة جسدها ويُجمّد الصقيع أطرافها، ويُحّح عليها في حتمية التحرك أيًا كانت وسيلة المواصلات التي ستستقلها.

تتوقف أمامها سيارة أجرة جماعية يتهافت عليها الجميع للركوب، تُدفع لتجد نفسها تجلس على الكرسي الأخير كأنها في مسرح كبير، والشاشة حية نابضة بالحقيقة أمامها.

تغيّر الجو في لحظات من جو عاصف شديد البرودة إلى جو خانق لزج يمتلئ برائحة العرق واللهاث والأنفاس. هدأت السيارة مع تحركها، تتفكر في الناس حولها، بائسون للغاية متعبون ومنهكون لتوفير لقمة لا تُسمن ولا تغني من جوع وتعليم بسيط لا يفي بغرضه، من وظيفة مرموقة تسدُّ الرمق وتؤمّن المستقبل. يتشاركون الدعاء بالستر والصحة وراحة البال، فالحياة لا تحتل أي إضافة غير محسوبة العواقب. سيارة قديمة ضيقة، وليكن، ولكن لا يوجد ما يمنع أن يركب الأب ويضع ابنه وابنته على قدميه ليوفر ثمن تذكرتها. زوج وزوجه بلغت منها السمنة المفرطة مبلغها

حتى بات المرور من باب السيارة مغامرة تحتاج معجزة لعبورها، ورغم ذلك لا مفر من ركوب السيارة الجماعية، لا يوجد أي فائض لرفاهية استقلال سيارة أجرة خاصة.

وهذا عامل يحمل الكثير والكثير من الآلات، يتحرك بها فترتطم بالجالسين صعوداً وهبوطاً، يعتذر لهم، ما بيده حيلة وهم يعلمون ذلك. شاب يعد بضعة قروش يحملها، لا تكفي ثمن تذكرته، فينزل متحسراً على خسارة مكانه الذي حصل عليه بعد طول عناء. تتوقف الحركة على الطريق تماماً، ويقف السائق بجانب عربة بائع متجول لبيع الفراولة، يقسمها أنواعاً بأسعار متباينة، نوع فاخر ونوع عادي والباقي يجمعه كنوع ثالث من أردأ ما يكون. بالكاد تعرف أنها فراولة «هات حبة من دول». يخاطب السائق البائع وهو يشير لأردأ نوع على العربة، فيرد عليه البائع «أوزن لك بخمسة جنية من دول يا بيه؟». يقرر التضحية بخمسة جنيهات من قوت أولاده ليُسكت ألم جوعه ومعدته، يتناولهم من البائع ويضعهم بجانبه دون أن يبدي أي اهتمام بغسلهم أو حتى أضعف الإيمان مسحهم «سم وكُل»، لا يهتم أن السُم يملأ فاكهته من الداخل والخارج رغم جوعه وصغر وجبته، يلحف على الكل مشاركته وتذوق فاكهته «بسم الله». يشاركه الركاب بسعادة تذوق فراولة لم تُغسل بماء أو تطهرت بمنديل. يتشاركون الهَم والمرض والسُم دون تمييز أو تفكير. يُنهى وجبته بتدخين سيجارة أخذها من سائق بجواره على الطريق بعد أن شاركه فاكهته، فأبى إلا أن يرد المعروف بمعروف مثله. يمضي الطريق ولا يفكر أو يهتم البتة كيف

أو ماذا أكل، المهم أن قرصة الجوع مضت وولت، وأسعد معه كل الركاب ببساطته وكرمه. يسعل بشدة وهو ينفخ دخان سيجارته وسط الركاب وتناسى ملصقات وضعها بيده داخل السيارة «ممنوع التدخين». ينهمر المطر بغزارة بالخارج، يغطي زجاج السيارة وتختفي ملامح الطريق تحت وطأة وشدة المطر، ينظر كل راكب في اتجاه ويسرح كل في طريقه ومبتغاه.

صالح

صراخ يدوِّي بفرع، بصوت عال، بعد منتصف الليل، لفتاة صغيرة تستغيث بكل قوة «بابا بابا.. عمو عمو»، عمو صالِح، عمو محموود، الحقوني». بضع لحظات ويعلو صوت وقع الأقدام على الدرج ودخولهم المندفع للمنزل على صراخ ابنه صالح، جارهم وصديقهم العزيز. «حصل إيه يا حلا». «بابا بابا واقع على الأرض في الأوضة ومش بيرد عليّ». محاولات سريعة مستميتة لإنقاذ صالح المُمدد على الأرض، والواضح جلياً أنه يعاني من نوبة ما. صالح استيقظ، أنت الطيب، أنت المنوط به علاج المرضى وليس نحن. كان هذا هو لسان حال عامر ومحمود وهما يدوران حوله يناديانه ويحركانه مع سكبها الماء والعطر عليه. انتبه عامر وأمسك بالهاتف وطلب المستشفى الذي يعمل به صديقه المُسجّي على الأرض. «آلو، د. صالح مُغمى عليه بسرعة، ابعتوا الإسعاف». كانت حلا في حالة يُرثى لها من القلق على والدها. هو كل ما تبقى لها في الحياة بعدما تركتهما والدتها ورحلت عن الدنيا بأكملها. كان أصدقاءه يحاولون تهدئتها ريثما تصل سيارة الإسعاف ومتابعته عن كثب، لكن حالهم وقلقهم لا يخفى عليها أيضاً.

صالح من أطيب الشخصيات التي قابلوها، منذ أن عرفوه وهو مثال يحتذى به في حُسن الخلق والاهتمام بالجميع حتى في أحلك الظروف، هو الساند والداعم للجميع، كتلك المرة التي تكفل بإجراء عملية جراحية وإقامة في المستشفى وعلاج كامل لحارس العقار وظلّ يتعهده بالمتابعة والاهتمام إلى أن شُفي بالكامل رغم تزامن مرضه مع مرض زوجته وانشغاله بها أيما انشغال،



ومساعدته لمحمود في إيجاد وظيفة مناسبة له عن طريق علاقاته الكثيرة وإقراضه مبلغاً من المال إلى أن تجاوز أزمته. حلال المشاكل هو ومقصد كل محتاج يعرفه. أفاق عامر ومحمود من شرودهما على صوت سيارة الإسعاف وهم يأملون أن ينتهي الموقف على خير ويتم اكتشاف سبب هذه الإغماء وعلاجها وعودته لحلا المنهارة التي سوف تكون محط اهتمامهم حين عودته، فما زرعه صالح يوماً، ما ستجنيه حلا بلا ريب من اليوم فصاعداً.

ذهب

ذَهَبٌ.. كلمة تتلألاً أضواؤها وتنعكس على وجه دُنيا الحزين البائس، فتناهر دموعها وتبرق كالجو الباكي حولها. تشرد وهي تتأمل الكلمة. ستيديو ذَهَبٌ.. ذَهَبٌ. بالفعل هو ذَهَبٌ. وأكد ذهابه بحضوره البارز وسط البراويز المعلقة وهو يضم خيانتة التي أمست زوجته، ويؤكد بصورته تلك لنفسه ولدُنياه المنصرمة أن دوره انتهى في دنياها. عهدٌ ووَلَى وذهب إلى الأبد. بابتسامة مريرة وهدوء عجيب يغلفها ويخفي عاصفة ألم نارية هوجاء تتغلغل في أوصالها، وظلام دامس يتفشى في خلاياها يطغى عليها ويحتويها بقسوة أطفأها وأظلمها وزرعها متجمدة كتمثال أمام واجهة الاستديو. تتأمل وتتأمل تفاصيل صورته. آاه يا دُنيا كم أنت غريبة وحقيرة. لا تستحقين حتى هذه العبرات التي أسكبها وهذه اللظى التي تكويني وتُدميني، وهذا الذهول الذي يُذهب عقلي ويعتريني. هي في حالة انفصال عن واقعها وكل ما حولها، لا تتقي مطراً ولا تبعد عن مارة أو طريق سيارة. صدمة ووجوم يكويانها بنيران الغضب والخذلان. تبكيه كأنها لا تصدق فعلته. خرجت خصيصاً لتعمي عينيها بحقيقة خيانتة، وليكون تأملها لصورته وقوداً يقويها على ردم دُنيتها معه ودفنها للأبد دون رجعة. لحظات تمر عليها كدهور، قرارات تليها قرارات تحسم بها أمرها. مع غلق المكان أبوابه وخفوت أضواء كلمة «ذهب» بالتدرج، غرق المكان في عتم الليل. هدوء تام حولها، حَوَلْ شَهقاتها وبكاءها لألم مرثي يُخرج جمرًا متقدًا من حلقتها كروح سجينمة معذبة تكافح للخلاص. تفيق على سيارة مُسرعة تُغرَقها بالوحل وهي على حالها متمسرة لا تكلف نفسها حتى مجرد عناء الالتفات إليها. تتحرك ببطء في الوحل كأنها انفصلت عن جسدها،



تُجرّج أحزانها كأجراس تدوّي رغماً عنها فتساقط خيبتها
وعبراتها مع الوحل فتمضي كعجوز كسيرة أعيائها المرض تتأبط
عكازها خارجة من جولة خاسرة مع الزمن. تستشعر حالها
وهزيمتها المؤقتة وهي تنظر للغيوم فوقها، فتنعى ذهابه ولسان حالها
يُهدّي ويردد «كان في يوم.. ظلّ وحيطة.. لمة عيلة.. دفا وأمان..
دنيا جميلة.. كاملة نظيفة.. شمس وهوا.. بحر وألوان.. تاخذ
تدّي.. وكله يعدّي.. سهل وصعب.. حلو ومُر.. لعب وجد..
وكله تمام.. فجأة الغيمة.. عدت غطت.. كل الشمس.. جاية
معها.. ضبع جبان.. لأ تعبان.. وحت حداية.. خطفت واحد..
عامل منهم.. وأهو من يومها.. راح ولا جاش.. زعايب قامت..
شالت حطت كل الشط.. برّه الآمن.. بقى متكسر.. مكنش مخون..
يوم للغيمة.. وحداية غادرة.. كذبت هدت.. خطفت سرفت.. كل
ماضيهم.. حبة وسكنت.. كلّ الريح.. بعد دمار شامل للكل..
زعلوا وحزنوا.. بيتهم راح.. بعد شوية.. أخذوا أنفسهم.. كملوا
تاني.. جابوا الأول.. خطوا أساس جامد ومتين.. طلعوا بدور
واحد على الشط.. يقدر يصمد.. يرفع راسه.. قدام غيم.. هادر
غدار.. يجتموا فيه لحظة غضبه.. بعدها يحلّ كل مرار.. أخذوا
الدرس وفهموا العبرة.. طول ما نفسهم داخل طالع.. أملهم باقي
فوق الأرض.. أي نجاح.. سعد فلاح.. جوّه نفوسهم.. مش في
إيدين هوا ورياح».

جَمِيلٌ جَمِيلٌ

كشرنقة حريرية سُحب شريطها فتفتق عن ذهبٍ ولؤلؤٍ
 ومُرجان، تنهض من سريرها فرحة نشيطة كفراشة تطير فوق
 السحاب. تهم بتحضير قهوتها زكية الرائحة على مهل وهي تذكر
 تفاصيل ليلتها الماضية، ليلة رائعة بكل المقاييس، بكل ما تحمله
 الكلمة من معنى. تكريم تستحقه وبكل جدارة، نُفوح رائحة
 القهوة وتنعشها وهي تملأ فنجانها الذي كان يعني لها الكثير فيما
 مضى أول زواجها المنصرم، وأصبح فنجاناً عادياً الآن، اعتادته لا
 أكثر. تتعجب لتبذل الحال، اليوم هي نسخة أخرى مُطوّرة من
 نفسها لم تكن تظن أنها ستصبحها يوماً ما، فخورة هي بنجاحها
 وانتصارها في جهادها على نفسها بكل تفوق. تُنددن لحناً هادئاً مع
 صوت فيروز الملائكي المتصاعد بجانبها. تتهد بعمرق وراحة، لا
 يزال دويّ التصفيق الحار في قاعة المؤتمرات، يدويّ في أذنيها بعد
 إلقائها كلمتها أمام رئيس الجامعة اليلة الماضية، كلمة ليست كأى
 كلمة، كلمة حفرتها الأيام والليالي بالدم والدمع في ذاكرتها وهي
 تكافح وتجاهد نفسها للخلاص بنفسها وأولادها من الماضي الأليم
 والوصول لبر الأمان، وتكمل رسالتها وتبني مستقبلاً مشرقاً
 وتكون دعماً وسنداً لكل من مر بظروفها، فيجدنّ العون والقوة
 ليكملن المسيرة في الحياة. لم تُرتب كلمتها أو تجهزها وتعمدت ذلك،
 لتخرج مُحملة بالمشاعر والأحاسيس والصدق، فتصل إلى القلوب
 والعقول مباشرة، ارتجلتها لحظة ارتقائها المنصة فجاءت حقيقية
 مُرتبة واقعية، وهي تبث الأمل وتروي البذور الجافة والأرض
 القاحلة. يدوي صوتها وهي تُلهم الجميلات بتجربتها وتخطب
 الحاضرات أمامها وأمام الشاشات.



«إليكم حبيباتي.. إلى كل كسيرة حزينة مخدولة مغدورة، ضربتها الخيانة والكذب والخداع في مقتل، فسقطت بدويّ مُفزع، صامته كبركان مُكمم بقبور الموتي يرغي ويزبد فيأكل بعضه بعضاً، مشدوهة من الصدمة، تلملم أشلاءها وتزحف زحفاً من الضوء والحياة، تحتفي عن الأنظار تنأى بنفسها وجرحها في أقصى بقاع الأرض، تتوقع على أملها، تحتضر وتعاني آلام المخاض الطويل، تنهمر عليها الأتربة ويطمرها النسيان، فتدفن نفسها بيدها في بطن الزمان، ويمضي الوقت بطيئاً قاتلاً، كأنه الخلود، ويبدأ تحولها في الظهور ببطء شديد من ضعف وعجز ووَهْن إلى جَلْد وقوة وتحمُّل، لحظة ولادة عصيبة مفصلية فارقة تلك التي يتحول فيها أملكِ العظيم وصديقك الملائم لك كظلك وحَجَرِ عثرتك إلى نقطة قوتك وتميزك. تتجولين داخل أروقة نفسك ودهاليزها لتجدين شخصاً آخر لم يعد الحزن يبكيه ولا الهجر يُدميه، لقد تفوقت على نفسك وروحك المتعبّة المهترئة، وحوّلت بقوة وبمرور الوقت دفعة انكسارك إلى انتصار، وتجاوزت كل شيء لتستطيعين الحياة دون ضغوطات، واستطعت التغلب على هزيمتك وحولتها رويداً رويداً لمكافأة حصلت عليها بصبرك وثقتك في وعد الله، ومثابرتك وأملك في جائزة قيمة تحتبئ لك بين ثنايا الفقد والجزع.

فأصلك الذهب لا تؤثر فيه أية عوامل حتى لو صُهر، يتم إعادة تشكيله بتصميمات أكثر جمالاً وروعة وبهاء ورقة وعذوبة، وهو لا يزال يحتفظ بأهميته وقيّمته مهما مضى عليه من زمن أو تعرض لأية مؤثرات مُدمرة. نبتت وظهرت الورقة الخضراء من قلب القسوة والظلم والخيانة، وأينعت الزهور بألوان ريبعية مُبهجة

مُشرفة، فسرت العيون والقلب والخاطر، وفاح شذاها عبر الزمان
يخطف الألباب والأنظار. ها هي قد عادت بقوة وثقة، عادت
وانتصرت على نفسها وجرحها، ملأت ابتسامتها ثغرها بعد أن وقفت
على قدميها بثبات وعزة وإباء وشموخ. ألا قد حان الوقت عزيزاتي
لتعويض ما فات واللحاق بما هو آتٍ، والفوز بكل آمالنا وطموحاتنا،
حتى نكون قدوة ومثلاً في الصمود والعزة والكرامة وضرب المثل في
التحمل والثابرة والوصول للأمل والمبتغى، بمبدأ قويم وعزيمة
حديدية، والاستفادة من قوة الألم كوقود مؤجج للحماس وتدعيم
الأمل وتحويل الهزيمة والانسحاق إلى انتصار وسكينة، بعد انهيار
كامل قُصم فيه الظهر وانحنت فيه الجبهة بلا جرعة نور ولا بصيص
أمل ولا هدف ولا إرادة للحياة، ولا حتى محاولة اجتهاد لحياة الحياة.
أصدقن القول.. من قلب المحنة قادمة إليكن فأعرنني اهتمامكن
لتصلن معي إلى المنحة، من بعيد سيأتي الفرج نقطة نقطة، ضوء
خافت باهت سيبدد الظلام شيئاً فشيئاً إلى أن يسطع فيدفئ حياتكن
ودنياكن. عليكن السعي بالاجتهاد والعمل على أنفسكن وتطويرها
بشتى الطرق مع الإصرار والاستمرار، كقراءة كتاب ومعلومة فدرس
ومحاضرة وبحث وعلم، واعتماد على الخالق ومحبة الخلق، عندها
يحدث المراد، ويبدأ الوعاء في الامتلاء ويصل حد التشبع والارتواء،
فينفجر المارد ويخرج من مكمنه بقوة هادرة ناعمة وردية يانعة تفيد
نفسها، والبعيد قبل القريب، فنضرب المثل والقدوة للجميع، ونشكر
القاتل من صميم قلوبنا أنه قتلنا لنصل للأصل والجوهر، فلولا ما
كان الوصول، فالشكر واجب على جميله الجميل.

أجلٌ غير مُسمّى

بشوق، ينتظر مكالمة مهمة من خاله، ليخرج معه ويتريضان
 سويًا صباح يوم الإجازة، يعتبره أهم حدث بالنسبة له ويظل يُرتب
 ويُجهز له على مدى أيام قبله، بالتحديد الخروج للرياضة صباحًا
 يُنعشه ويذكّره بالأيام الخوالي، فينتشي ويمتلئ بالطاقة والحيوية،
 حيث كان ينعم فيما مضى بالترييض صباحًا ثلاث مرات على الأقل
 في الأسبوع. ولكن، تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، سافر الخال
 ليلاً لعمل طارئ، وتم تأجيل مواعدهما لأجل غير مُسمى حين
 عودته غير المقرر مواعدها، يجلسُ مهمومًا شاردًا بجسده الصغير
 مُتكومًا على نفسه في ركن سريره، تتساقط دموعه بغزارة دون أدنى
 صوت، يترأى لمن يشاهده أنه كهلٌ في السبعين من عمره رغم
 عدم تجاوزه العاشرة. ينعكس ضوء الشمس المُتسرب من خلال
 نافذته على اللالكى المتساقطة من عينيه مع شهقات وكلّمات غير
 مفهومة. «لماذا البكاء يا صغيري؟». «تعبتُ من الحياة يا أمي،
 حملتني أكثر مما أحتمل، لم أتمتع حتى بطفولتي رغم أنها أحلى وأمتع
 فترات العمر، ضاعت وأنا أبحث عن الأمان بالقوة، وعن الرعاية
 بالتحايل، وعن الاهتمام بالتسول، وعن الحب بالشفقة، أبحث
 عن البديل بالرغم من وجود الأصل بالقرب مني، ينعم بالحياة
 ويسقيني مُرها وعلقمها على مرأى ومسمع منه دون اكتراث، كم
 من الليالي مرضتُ ولم أذهب للمشفى ليلاً لعدم وجوده؟ كم من
 المرات تمنتُ السهر بين ذراعيه أمام تلفاز؟ أو بين دفتي قصة؟
 كم من اللحظات اشتجيتُ الحديث معه في أمور تخصني كرجل
 صغير؟ أو لعب كرة؟ أو دغدغة صباحية؟ أتمنى مشاهدة مباراة
 مهمة لكلينا معًا في منزلنا. تاقت نفسي لسفرة معه تضمنا سويًا،



أو رياضة نمارسها معًا صباحًا، حتى العقاب منه له لذة حرمني منها. أتمنى تقويمه لي ومتابعتي وتربيتي وتحمل مسؤوليتي، اشتقتُ لصوته المرتفع وعقابه لأنه دليل أهميتي عنده. كم أفتقد الخروج والتنزه معه في المنزهات والمولات التجارية، واختيار مشترياتنا سويًا كعائلة، أو أن نشاهد فيلم سينما لبطل نحبه معًا في أي وقت نختاره من اليوم حتى لو كان فجرًا، فننفعل ونضحك ونبكي معًا ورائحة ذرة «الفشار» تُعَبِّق المكان حولنا ونحن نلتهمه باستمتاع وتلذذ. نرتاد المصايف والمشاتي، نشاهد الشروق والغروب معًا، نعم بعائلة دافئة متقاربة وأسرة متكاملة تضمنا سويًا، لكنه ضنَّ عليَّ بأبسط حق لي في الحياة. أبكي لأنني أنتظر التعويض من كل من يجنبي، قريب يقطع من وقت أسرته وأولاده لي، أفرح وأقدر ذلك، ولكنني أشعر بأي حمل وعبء على الجميع، أو غريب تدفعين له يا أمي نظير وقت يمضيه ويقضيه معي لأشعر بالأبوة وأدنى درجات الطبيعية مثلي مثل أقراني. سئمتُ يا أمي اللامبالاة وعدم الاهتمام بمشاعري واحتياجاتي، كلما حدثته عن أمنية مهما كانت بسيطة، يتنصل بحجة عدم مقدرته عليها وهو يمارسها في نفس الوقت بجانبني في مدينتي، وأنا أتمناها وأرجوها بكل كياني. هَرم قلبي يا أمي سريعًا وشاخ على الحزن والمرار وألم الفراق. عودتُ نفسي الاكتفاء ببضع ساعات لا تكفي ولا تُشفي كل بضعة أسابيع، لِيُسْقَطَ بها الحرج والواجب عنه، تُؤلمني أكثر مما تُمتعني، وتكويني أكثر مما تعالجني، وتُشعرني بالفقد أكثر وأكثر. لقاءً قبل بدئه ينتهي ويتم بتره بمقصلة الوقت، لقد أدى الواجب وأتى سريعًا وقت الرحيل قبل الارتواء، عدم الشعور والإحساس يا أمي بأقرب

الأقربين أصبح غريباً، جزءٌ مني تخلّى عني وهجرني بكل بساطة ودون أدنى شعور بالذنب، يدعوني بكل قوة لأستمد قوتي من الله ثم من حولي، ولا أفكر مجرد تفكير في الاستعانة به حتى في أحلك اللحظات. مشاعر متّقدة أخذها بيديه دون أن يحس بتأججها في صدري، حوّلت قلبي لرمادٍ متناثرٍ لم يعد قادراً على الحب والعطاء، رماد قلب لا بد من بعثرته وزرع بذرة قلب جديد مكانه وسط الصدأ والخراب والدمار. بذرة سوية ترويهالي ويرويهالي المحبين بكل مشاعر الحب والعطف والرعاية والاهتمام، لتنمو بُرعماً أخضر يقاوم الظلام والموت والوحشة، ونسهر جميعاً على رعايتها فتكبرُ ويشتد عودُها مع الأيام، فتصبح شجرة وارفة الظلال تحميني وتحتويني بعد أن اقتلعت ضعفي وحولّته بالإيمان، لوَاحَةِ أمان.

التفريڪ

يهتف أحمد بصوتٍ هادئ، مخاطبًا أحد الجرسونات «بسرعة خذ حد معاك وانزلوا حالاً، منصور تحت». وفي لمح البصر نزل اثنان من الموظفين لجلب منصور من الطابق الأرضي للمطعم في الطابق الثلاثين، وبعد مُضي أكثر من ساعة كاملة دخل منصور بصحبة مرافقيه، مُجهد بشكل واضح، يلهث ويتصبب عرقاً كأنه خرج للتو من معركة شرسة، يبلغ منه التعب والإرهاق مبلغهما، غائر العينين زائغ النظرات يترنح وهو لا يقوى على الوقوف. يستقبله أحمد بحفاوه وابتهاج:

- أهلاً وسهلاً يا منصور، أخيراً نورت مكانك، كل دي غيبة يا راجل؟ ينفع كدا؟

ينظر له منصور وهو لا يقوى على الرد، يُكمل أحمد كلامه:

- خد نفْسك بالراحة، اتنفس كويس، اهدأ كدا، على مهلك. إنْتَ يا بني، هات عصير ليمون بسرعة.

يتأمل صديقَه الشاب الوسيم طويل القامة جذاب الهيئة، بملابسه الرياضية التي تجعلك تظنه بطلاً رياضياً قوياً بمظهره الذي لا يتناسب مع هلعه وخوفه المُتجلي بوضوح على قسَمات وجهه.

- إيه يا منصور، راح فين صوتك؟ الديكور والأكل والفيو التحفة للنيل موحشكش؟ دا المكان هنا هو قعدتك المفضلة وهو السبب إنك تتعرف على ريم.

- مش قادر يا أحمد مش قاادر، بجد تعبت مش عارف أعيش، خوفي من الأسانسير وأي مكان عالي ومقفل شل حياتي وتفكيري،



ريم فعليًا زهقت واحترارت تعمل إليه معايا، بقالنا سنة من شهر العسل في لبنان وأنا معيشها في مأساة مش عارف لغاية إمتى؟ لغاية إمتى؟ كل لما أركب أسانسير أفتكر الحادثة وأعيش تفاصيلها كأنها بتحصل دلوقت بالضبط، كأني لسه موجود في التلفريك إلي كنت راكبه وفجأة بيتعطل ثواني وبعدين يقع ويفضل متعلق أكثر من ربع ساعه في الهوا بين السماء والأرض والجبال، شايف الدنيا مقلوبة من فوق وأنا لوحدي مقفول عليّ صندوق حديد، صوتي وصوت ريم وإحنا بنصرخ من الخوف بيرن في وداني بصدى صوت رهيب، لغاية ما عرفوا يسحبوه ويطلعوني. والله كان هاين عليّ مرجعش من هناك عشان مركبش الطائرة وأنا راجع، وإلي عايز يشوفني يبجي لي هناك. هو هو الرعب والخوف والفرع والوقت إلي مش بيعدي، إلي بحسه مع شلل وتلج في جسمي كله لما بركب أسانسير لغاية دلوقت. كابوس مش عارف هصحى منه إمتى ويبطل بقى يآثر عليا. نص مشاويري بلغيتها والباقي بطلعه على رجلي، وكله كوم والسفر بالطيارة كوم تاني، اتلغى خالص خلاص من قاموسي. حياتي كلها بتنهار بسبب الفويبا دي والمصيبة جاية لي أنا، أنا يا أحمد وعلى كبر كمان، أنا إلي مكتتش ببطل سفر وملاهي ومغامرات.

ينظر له أحمد بكل مودة وإحساس بما يعاينه صديقه المقرب وشريكه في المطعم الذي أصبح لا يتردد عليه إلا في أضيق الحدود لاجتماع مهم أو مقابلة رسمية لا يمكن أن تجرى في مكان آخر. يُدرك جيدًا معاناته بمجرد مقارنة بسيطة لحياته فيما مضى قبل هذه الحادثة وحياته الرتيبه المحسوبة الخطوات والتحركات الآن.

- منصور، الموضوع لازم له حل، أرجوك تقتنع تروح للدكتور، الخوف فكرة ومشاعر سلبية بتتعملق في العقل وإحنا بنغذيها بأفكار ومشاعر تانية ونبني عليها حاجات غلط. إنت حصل لك حادثة خلت عندك إحساس مكثف فجأة بالخوف والرعب من الموت من ارتفاع عالي في قلب صندوق حديد لوحدك، خلت عندك عدم تقبل نهائي للارتفاعات والأماكن المغلقة، لكن إنت لسه شاب صغير قدامك الحياة كلها ولازم تستعمل الأسانسيرات والطيارات، مش هينفع كل حاجة تلغيها أو تيجي على نفسك بكم الرعب دا، ولازم حد يبقى معاك، يا جده دا إنت قلبك ما يستحملش كدا، وبعدين كلها كام شهر ويبقى عندك طفل مسئول منك، والموضوع بيتطور كمان وبيزيد، إنت بادئ تدوخ ويغمي عليك، أنا فعلا قلقان جداً جداً عليك، وخصوصاً مع الخبر إلي هقوله لك دلوقت.

- خير، خبر إيه يا ترى؟

- أمينتك القديمة هتتحقق يا سيدي، إنت إلي هتمسك فرع المطعم في دبي، استعداد للدور الأربعين يا بطل.

صَمَتَ صَمَتًا كصمت القبور تبعه ضحك هستيري وهو يردد «أمنيته القديمة!»، يتذكر أمنيته التي طالما سعى إليها سابقاً، هو حتى لا يستطيع تخيل نفسه هناك أو كيف سيصل إلى هناك، هل انتهت حياته فعلاً ووقفت عند هذه اللحظة؟ أم سيضطر إلى مواجهة خوفه أخيراً بعد كل تلك المدة والرهبة ورفض مواجهة نفسه وذاته؟ ودحره عند الطبيب ليستثمر الفرصة التي أتاحتها له أصدقاؤه ليتغلب على نفسه وخوفه؟

الرابط العجيب

١٠٠٢٠٣

هو

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مستمعينا الأعزاء، مرحبًا بكم في برنامجكم «حلول مبتكرة»، معكم صديقكم أحمد المرشدي استشاري العلاقات الأسرية.

نبدأ برنامجنا الليلة بأول اتصال هاتفي:

- آلو.. مساء الخير والمسرات.

- خيرات ومسرات! وهل بقى في الدنيا خير وسرور؟.

- لماذا البكاء والدموع سيدي؟ أخبرني.

- أنا رجل قُتلت بدم بارد، تم نحري من الوريد للوريد على يد من كانت زوجتي وأقرب البشر إلى قلبي. أتمنى أن تسمعني بقلبك وأن تتخيل نفسك مكاني وتشعر بألمي وحزني.

- تفضل، كُلي أذان صاغية.

- تمت خيانتني، طُعت غدراً في ظهري، هُدم منزلنا وتفرق شملنا وفقدنا أطفالنا ونحن على قيد الحياة. ذُبحت وتألّمت ومللت من نفسي ومن الحياة بأسرها، أتمنى الموت. هل جربت سابقاً أن تُظلم ويُسلب حَقك ويُسرق؟ هل سُجنت روحك وقُتلت بداخل جسدك؟ تريد الخلاص ولا تجد له سبيلاً. هل شهدت ذبول قلبك وحيرة عقلك وجفاف دمعك؟ وسؤال واحد يتكرر، لماذا؟ لماذا؟ دون أدنى أمل في سطوع إجابته شافية. هل سهرت ليال طوال لا تفهم؟



تفكر في مصيبتك وغرائب حدثت لك من وراء العقل البشري لا تستوعبها كأنها تحدث في بُعد آخر وعالم مختلف؟ تحدث نفسك وتناجي ربك، تبكي ساجداً بين يديه، تسأله الشفاء من الألم وتطلب منه أكبر نعمة من نعمه على الإنسان، النسيان لكل ذكرى ذهبت وولّت ومضت. ما مشاعرك تجاه من خانك وظلمك؟ أتنساه؟ أيبارح خيالك؟ كل لحظة تمر عليك تتمنى القصاص العادل، تريد الأخذ بثأرك ورد اعتبارك وكرامتك واسترداد حَقك كاملاً، ويزيد ألمك ويتضاعف كلما ورَدَتك أخبار مُضي حياته على أنقاض بيتك وأشلائك ودمائك أنت وأطفالك، كأنك تُصَب وقوداً فوق جرح المُستعر وتتعجب كيف ينام ليلاً ولا يقصُّ مضجعه الأرق والقلق على مستقبله من فرط ظلمه لك؟ أجبني بالله عليك سيدي.

- هل تريد قول شيء آخر قبل أن أبدأ إجابة تساؤلاتك؟

- أجل، إليك قصتي لتدرك معاناتي. تصور نفسك يوم احتفالك العاشر بزفافك تتصل بزوجتك بعملها لتهنئها بمناسبةكما الخاصة وتتمنى دوام السعادة والهناء بينكما وبعد إغلاقك الخط وتأكدك أنها في عملها تصعد لمكتبها لمفاجئتها بخاتم ماسي بداخل كم كبير من الشيكولاتة المفضلة لها، مُحاطة بالزهور المحببة إلى نفسها في اللون هليوم يحمل اسميكم وتاريخ زواجكما معاً، تصعد تُمني نفسك برد فعلها وابتهاجها، لتستغل فرصة مناسبتكما وتطلب ودها ورضاها الذي غاب عن حياتكما منذ فترة ليست بالقليلة دون أن تعرف سبباً لتلك الحال المسيطرة على علاقتكما من فتور وتبلد وتجاهل، فلا تجدها. تحزن لكذبها ولفشلك في مفاجئتها ولكنك تفكر سريعاً

في حل بديل لإكمال مفاجأتك وإسعادها، تتجه مباشرة لمنزلكما لتفاجئها حين عودتها، بمجرد دخولك البيت تشم رائحة غريبة لدخيل عليه، تسمع أصواتاً من المطبخ لضحكات زوجتك مع غريب، يتوقف بك الزمن لا تحملك قدمك، تزحف بكل ما أوتيت من قوة لترى ما تُحب ألا تراه، وتسمع ما تتمنى أنك أصبت بالصمم قبل سماعه. تجدها تُطعم عامل السوبر ماركت المُلاصق لمنزلكما الطعام في فمه، وهي في كامل ملابسها وزينتها كأنها في حضرتك. حتى الخيانة في هذا الزمن أصبحت تأتيك بكل بساطة مع عامل توصيل الطلبات للمنازل، وتدفع ثمنها، متى حدث ذلك؟ في أي غفلة من الزمن؟ بالتأكيد وقت ما كنت أفكر فيها وفي أطفالي ومنزلي، وقت ما كنت أحاول أن أجعلها أفضل وأفضل في كل مناحي الحياة. هل وقت ما فضلتها على نفسي وعملي ومستقبلي؟ وقت اختياري لها وسعادتها على حسابي وحساب سعادتي بكل حب وإخلاص ووفاء؟

تتجمد، تسيل دموعك دون إرادة وتحكم منك، وبكل برود يلاحظانك، يقوم ويتركها لك وهو ينظر لها كأنه يقول أخبريه بما اتفقنا عليه، وهي لا تتوانى عن تحقيق رغبته، «جيد أنك عدت لترى بنفسك ما كنت أود أن أقوله لك، أريد الطلاق، ولك أن تختار الخُلع أو الطلاق. اخترت حياة جديدة دونك، لا تُحمّل الموقف أكثر مما يحتمل». خانني صوتي وقدمائي، متى تغيرت؟ ماذا حدث لك؟ هكذا دون أسباب؟ ماذا عن أولادنا؟ ماذا أخبرهم؟ ما الذي سوف يحدث لهم؟. «الحب هو ما حدث، أما عن أولادنا اطمئن سوف



يكبرون وسيتم تربيتهم بأحسن طريقة، أليسوا معك؟ سأنصرف، أرجوك لا تتأخر في إطلاق سراحي، أريد بدء حياة جديدة سريعاً، لا تُطل الأمر على كلينا معاً، وأخبر أنت أولادنا عني، لا أريد رؤيتهم في هذا الموقف، تحمل هذا الموقف من أجلي». أصبتُ بنوبة هستيرية من الضحك والبكاء معاً، من أجلك؟ من أجلك؟! لن أطيل عليك الأمر سيدي، استجبت لطلبها فوراً، أنت طالق، قبل عودة أطفالنا من المدرسة تكونين قد غادرت المنزل ودون رجعة، غادرت حياتك القذرة الخربة، والله وكيلي ووكيلهم. هكذا في يوم ليلة، بين عشية وضحاها تُصعق على انتهاء حياتك الأسرية وينكشف وجهها القبيح الذي خدعني لسنوات وسنوات. زُلزلت الأرض من تحت قدمي، انهار أطفالي، توقفت حياتنا، أصبحت دون روح أو مشاعر، توقفت دقائق الساعة عند تاريخ واحد لzfاف وطلاق في نفس اليوم، يفصل بينهما عشرة أعوام. أصبحت أيامنا مكررة دون أي إحساس، مبللة بطعم الدموع ليل نهار، لآخر لحظة تسامح في حقك وحق أولادك وتفاجئها بهدايا ومشاعر وتتجاوز عن أخطاء لا تُغتفر وزلات لا يمكن تجاوزها من أجل استمرار حياتكما، وأن يكبر أولادكما بين أحضانكما سعداء دافئين بحبكما ودعمكما، أريد فقدان الذاكرة لهذه الفترة، أريد أن أرى استجابة دعائي وصلاتي التي أصبحت قوتي اليوم، وأثق بما أني رُزقت الدعاء فلا بد من الإجابة وأنا بانتظارها، هذا مطلبي ومُرادي.

- سيدي.. أسدي لك نصيحة ولا أغرب ولا أعجب ولا أروّع، لتبرأ من خيانتها وألمها، هل أنت مستعد للتفكير خارج الصندوق

لُتُشْفَى ويندمل جرحك؟ بحل إبداعي بسيط وتفعيل رابط سهل جداً في حياتك يحتاج منك في البداية فقط لقليل من الجهد والتعود وسيعود عليك بكل ما ترجوه من نتائج إيجابية.

- أجل، أريدُ حلاً غير تقليدي، لهذا كان اتصالي، تفضل، أستمع إليك بكل تركيز وانتباه ولهفة.

- سيدي.. إليك الآتي، تمنّ لمن ظلمك المزيد والمزيد مما يفعله في حياته.

- ماذا تقول؟!!

- أراك تتعجب، لا تتعجب سيدي وثق أولاً أنه في قراره نفسه مكروب حزين لا يستمتع بحياته بالمرّة ولكنه يجيد إلى حد ما فن التمثيل، لأن من ظلم لا يسعد أبداً سعادة كاملة، مكان ما في روحه سيظل مُظلمًا مُعتماً يمتلئ بالعفن والعطن، يثق بأنه أجرم وأخطأ، يعلم حقيقته وقذارة فعله، ويعلم علم اليقين أن ما فعله سوف يُرد له عاجلاً أو آجلاً وسيشرب من نفس الكأس الذي جرعتك إياها، بنفس قدر الألم، فمن خان سوف يُحان ومن لم يُحافظ على النعم استوجب النقم. لا هناء مع الخيانة ولا أمان، هذا هو قانون الكارما.

- الكارما! ما هذا القانون؟

- قانون الكارما قانون معروف في علم النفس يعني أن ما تفعله اليوم لا بد سيعود لك بعد حين بنفس القوة والمقدار، وأن الجزاء من نفس نوع وجنس العمل، إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر، فكما تدين تُدان ولو طال الزمان، هناك يوم حساب قادم لا محالة،



يجتمع فيه الخصوم أمام الرحمن الرحيم الحق العدل، يتجاوز فيما يخصه برحمته الواسعة، ولكن بين عباده حقُّ حق، عدلٌ عدل، لكل لحظة مَلَكٌ سجّل بين عباده لحظة بلحظة كل دمة وفرحة، كل حرفٍ وكلمة ونية وموقف، وحسابنا هناك عنده وسترى حَقَّك في الدنيا قبل الآخرة، فالظلمُ دَيْنٌ في رقبته لا بد أن يؤديه في حياته قبل الممات. ابتهج كلما سافر وتنزه وعربد، كلما استحل حَقَّك ومالك ووقتكَ وزاد في بغيه، لأنه يصب في مصلحتك مباشرة ويزيد رصيد حسناتك وثوابك ويُثقل عليه دينه وذنبه. فَعَلَّ هذا الرابط العجيب بداخلك فترة، واجعل أحداث حياتها ترتبط طرديًا مع سعادتك، كلما زادت أحداثها كلما هدأت نفسك وسكنت رُوحك، واسعد أيًا سعادة بزيادة ظلمها، اسعد بنظافتك وقبحها، وشاهد مسلسلاتها ومسرحياتها المصطنعة الكاذبة التي تعيش بها دور البطلة الكاذب مع كثير من الصور الخادعة لها شخصيًا قبل غيرها لإثبات سعادتها المزيفة المكشوفة وبكل وضوح، وتحرّر الرسائل الربانية واستشعرها وثق بها وصدقها وأمن بها، خاصة لو كانت رسائل واضحة مباشرة وصریحة ويراها الجميع. مع مرور الزمن سوف ترتبط بهذا الرابط وسوف يصبح أبهج ما فعلت وتعلمت وسيزيد من قوتك ورضاك عن نفسك بإذن الله.

- ولكنني أحس باهتزاز ثقتي بنفسي وعدم تقديري لذاتي وإحساسي بالتقصير والذنب دون سبب لذلك.

- أرجوك سيدي، لا تهتز ثقتك بنفسك، ولا تشكك فيها، أنت على الجانب الصحيح والفترة السليمة، فلو علم الخائن أن المتعة، جُل المتعة، أن تحارب وتقاوم وتكبح شر نفسك وروحك وتتنصر

عليهما وتفوز بقيمك ومبادئك على رغباتك وشرورك، لقاوم ضعفه وَوَهْنه، لينتصر في جهاده على نفسه. أصبحت الخيانة سمة العصر ومرضه سيدي، امتلأت مراكز الاستشارات الأسرية والعيادات النفسية بقصص لنزوات شتى لخيانة رجل وامرأة تقاسما الإثم سوياً واستحلاه وشرباه معاً حتى الثمالة، وللأسف الشديد حَمَل وزرهما أولادهما الأبرياء، ودفعوا ثمن سُكرهم وعربدتهم من أعمارهم وبيوتهم وراحتهم وأمنهم واستقرارهم، تترأى لهم الخيانة عن بُعد مُبهرة براقه كألعب نارية تسحر من يراها وتُغريه بالاقتراب والتجربة الرخيصة الثمن، ومع اقترابه يجدها وحشاً كاسراً خُفياً، يأتي على الأخضر واليابس، يقع بين برائته ويحترق بناره ويسقط في الوحل ولا يستطيع الإفلات والفكاك منه حتى وإن أراد ذلك، فقد زلّت قدمه وسقط بين شقي الرُحى، لا يستطيع العودة لنفسه كما كان في السابق من هناء وراحه بال، ولا ارتاح كما ظنّ وتمنى فيما هو آت. وستظل من خانتك تدافع عن نفسها وتعمل جاهدة ليظن الجميع أنها بريئة من هدم منزلكما براءة الذئب من دم ابن يعقوب عليه السلام، فلا تكثرث فإن الله، ثم كل العباد، يبصر ويرى برائتها وأنيابها ملوثة، تقطر بدم الأبرياء الأتقياء، فلتكمل محاولة التمثيل وتستمتع بالدور أمام منافقين استحلووا خيانتها لك ويرفضونها ولا يرتضونها لأنفسهم ومنازلهم وأولادهم، ومن ورائها يلعنونها بكل اللغات وينعتونها بأفطع وأقذع الصفات والألقاب، فرائحة فعلهم ودنسهم وتَشْوهم الداخلي ومرض قلوبهم المستر لا يختلف عليها عاقل كان صغيراً أو كبيراً، وستظل عالقة بهم للنهائية، مهما حاولوا استعمال مُطهرات ومُنظفات العالم بأسره لإزالتها.



ارتضوا لك وضعا لن يرتضوه لأنفسهم مستقبلا في حياتهم
وسيرفضونه وبكل قوة، وسيقع بهم لا محالة بطريقة أو بأخرى
جزاءً لفعالهم الخبيث سواء علمتَ بذلك أم لم تعلم.
أرجوك فعّل رابطك المبهج العجيب، ولا تخن نفسك أيضًا كما
خانوك.

- أخون نفسي؟ وكيف ذلك؟ ما هي هذه الخيانة؟

- سأجيبك. الخيانة أنواع سيدي، خيانة الوطن والأمانة
خيانة، وخيانة الأهل والزوجة والأبناء خيانة، وخيانة الأصدقاء
خيانة، وأخطرها خيانة النفس. نحن نخون أنفسنا عندما نحرّمها
من المتعة والضحك والفرح والسعادة، عندما نمنعها الاستمتاع
بمباهج الحياة وملذاتها في طاعة الله وغمسها في الحزن والكآبة والألم
والدموع والبكاء وما يتبعه من مرض نفسي وعضوي.

وَلِيَّ زمن الألم سيدي، كُن طيب نفسك بزيادة الرابط، كلما
خدعك ظنك أنهم زادوا في بهرجتهم الذبيجة، زد في بهجتك
الحقيقية، لأنهم بيدهم يرجحون كفتك بظلمهم لك. ادعُ الله كثيرًا
لنفسك واترك أمرهم لله سيدي، فقد سمع الله لمن دعى، أعيدها
عليك مرة ثانية، دعهم لله فقد سمع الله لمن دعى، واطمئن واجعل
كل مكان شهد خيانتهم شاهدًا عليهم يوم القيامة، وتفكر أين
ذهب من بغى وظلم؟ أين رحل؟ ماذا ربح وخسر؟ أين صار
ووصل؟ كلنا مغادرون في طريقنا سائرون، لا يهم الآن ماذا كسبت
أو ربحت، ما يهم صدقًا وحقًا من ربح في نهاية رحلته بعدما عدًا
يومًا تحت التراب بفعلته، وعدًا يوم التلاق أخيرًا من ضحك؟

بعدهما انتصر في محاكمة منصفة عادلة أقامها الديان يوم صدق وحق
وعدل عند مليكٍ مقتدر.

لا تتعجل الرحيل، فالعمر يمضي بسرعة شديدة رغماً عنا،
السنوات أصبحت كأنها أسابيع وأيامٌ وساعاتٌ، تمر وكأنها لم تأتِ
من الأساس، آمن وصدّق أنك اختلفت عنه تماماً ولم تعد مثله وثق
أن الفرق أصبح شاسعاً بينكما، كما الفرق بين الثرى والثرياً، فالنور
يجذب النور والظلام جذابٌ للظلام، ف«الطيون للطيّات والخيشون
للخيشات»، فهي استحققت وبجدارة شبيهها وشريكها في الجريمة.

وتأكد أن إسدال النهاية بعقدِ قران في بيت من بيوت الله النقية
لا يُجِبُّ ما قبله ولا ما أتى بعده، عقد القرآن هنا سيدي تستر على
جريمة خيانة وهدم أسرة وخراب منزل وتشريد أطفال، لغسيل
الفعلة الشنعاء وتبييضها وإضفاء الشرعية والصفاء والنقاء والحلال
عليها والقبول بها وتمريها. وشرع الله بريء من خيانتها، فشرع الله
نظيف وطيب ولا يقبل إلا طيباً.

اجعل زيفها ووهمها الوقود المؤجج لسعادتك الحقّة، كلما
ازداد كذباً بشعاً ازددت سعادة حقّة. أقول لك لا تكرهها، تجاهلها
بالمرة، لا تستحق حتى أن تنال كرهك، نجاهك الحقيقي في تخطي
خيانتك، هو اللا شيء واللا شعور تجاهها أساساً، وصولك هذه
المرحلة هو تجاوز الماضي وأزمته، حيّد مشاعرك تجاهها كأنها الفراغ
والعدم، لا تُعْطِها وزناً لا تستحقه بكرهٍ وندم.

اجعل أسعد لحظاتك معرفتك بأجدد رحلاتهما، وآخر
نزاهتهما وأحدث صورهما الخادعة، وتفنن في تحويل أسوأ الأخبار



والأحداث عند غيرك ممن يمر بنفس تجربتك ووضعتك إلى أجهلها وأفضلها عندك، اضحك من قلبك على زيفها واصنع من رابطك المبهج العجيب محور قوتك الشخصية، واجعل من دواعي سرورك ومباهجك متعهم الدنيوية الزائلة. فقد خاب وخسر من سعد في دار الفناء وحمل أوزاراً وآثاماً، وشقي في دار الخلد والبقاء. اجعلها أهم مسيات سعادتك ورضاك عن نفسك، خاصة إذا كنت أدت كل ما عليك وقمت بكل ما أوتيت من قوة بواجبك ورضيت ربك وضميرك، انتبه لنفسك وحياتك، واعمل على تطوير ورفع شأنك. قف على قدميك مرة أخرى واحمد الله واشكر فضله على المنع قبل العطاء، وثق أنه عندما تملك زمام أمورك ونفسك مرة أخرى، وبعد تعافيك والتئام جرحك أنك لا بد سوف تشكر من خانك على خيانتك وظلمك، لأنك لم تكن تصل لما وصلت له دون فعله وعمله، ففي الأمر حكمة وسر لا يعلمها إلا الله وحده «وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم». قم بما عليك فعله واسع في طريقك وطور نفسك مع الدعاء، فهو مُخ العبادة ويغير القدر، ودعها واتركها لله وارض بقضائه من صميم قلبك وسوف يرضيك الله ويجزيك خير الجزاء على قدر نيتك وعملك. اجعل هذا ظنك بالله وهو مُطَّلِع وعند حُسن ظن عبده. أطلق هذه الحياة والأيام الغابرة، اتركها تمضي، حررها بسلام، بحلوها ومُرّها لتفتح لك المجال لتنعم بحياة جديدة، واستعد لها، لا بد أن تبدأ بصنع ذكريات جميلة مُبهرة رائعة من اللحظة الراهنة، لتكون لك دُخراً ورسيداً في الأيام المقبلة، تُسطر بها مستقبلاً واعدداً مشرقاً، لا

تَدَعُ مرحلة واحدة فقط من ذكرياتك تُسيطر على نفسك وتأسركَ
بداخلها. دعها تذهب ومعها كل الحسرة والألم لتترك مساحة شاغرة
لأيام وأشخاص ملائمين لك، يناسبونك وتستحقهم ويستحقونك،
ويظهر ويتجلى معهم هناءك وفرحك النابع منك ويعم حياتك
ويغمركم سويًا.

صدقني سيدي، يوجد الكثير على هذه الأرض مما يستحق
الحياة. يحتويك ويعوضك ويضمك، هذه أمنياتي لك في القريب
العاجل سيدي الفاضل. أتمنى ألا أكون أطلت عليك الإجابة،
ولكن الوضع أصبح شائكًا ومتكررًا ويكاد لا يخلو منه بيت
وشركة، ولا بُد لنا معرفة طريقة التعامل معه والوقاية منه.

- أشكرك شكرًا جزيلاً سيدي، كَفَيْتَ وأوقَيْتَ، سأضع
نصيحتك نُصب عيني وأحرص كل الحرص على تنفيذها وبدقة
بكل حذافيرها، علَّها تكون الشافية لصدري ولجلاء همي وحزني،
ويتبدل بها حالي وحياتي لكل ما أحب وأتمني.

- أسعدني حماسك سيدي، وفقك الله وأعانك لما يحبه ويرضاه.

مستمعينا الكرام، انتهت حلقتنا لهذه الليلة وأترككم مع هذه
الآيات من الذكر لنستخلص منها الحكمة ونتعلم منها الدرس قبل
الزلل فيه، فالوقاية خير من العلاج «ولا تتبعوا خطوات الشيطان»
و«اتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله».

تُصبحون على خير..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إسقاط الواجب

غداً، اليوم المقرر كل فترة للقاء أقرب غريب، يوم يتمناه صغارها ويبغضونه، يحترقون فيه ببرودة السلام وفُتُور المحبة وجفاء المشاعر. هل حقًا البعيد عن العين بعيد عن القلب؟ حتى ولو كان دَقَّتْه سابقًا؟ كم من المرات ترجو أطفالها الخروج مع والدهم ويرجونها بشتى الطرق الرفض لسبب أو لآخر؟ تضغط عليهم تقريبًا لله وإرضاءه وبرًا بالدهم العاق لهم منذ هجرهم منذ سنين، في كل مرة تتمنى أن يرضخوا بهدوء لطلبها لمرافقته بضع ساعات لا تُسمن ولا تُغني من جوع، حتى يُشعروا بوجوده في حياتهم وبالتبعية يشعر هو بإسقاط الواجب المُلقى على عاتقه، والفخر والزهو بإنجازات مُخزية مُبكية في عالم ذكور الطلاق، فهنا يتباهى من يُلقى فُتاتًا لأولاده لمن يمنع عنهم الفُتات أصلاً، ومن يرى فلذة كبده مرة كل فترة بمن لا يعرف ملامح أولاده من الأساس، ومن يسرق ثوانٍ ليهاتفهم من دورة مياه أو فاصلٍ إعلاني لِيُسقط الواجب ويميت الضمير بامتياز ويهنئ نفسه بتضحيته وفضله وحرصه على أولاده وتربيته الحانية وتواجده اللعين معهم لمجرد ثوانٍ يسرقها لهم ويتصدق عليهم بها. مقارنة السيء بالأسوأ أيهما تختار؟ تحمد الله أنه أكرمها بعدم حاجتها الماسَّة لبقايا، يتكرم ويفضل متذمرًا بوضعها في حسابها بالبنك كل شهر. ضمَّة باردة متوترة وقُبلة دافئة على يدها باتسامة باهتة لصغيرتها «ماما، مش عايزة أخرج بكرة مع بابا، أرجوكِ خلينني معاكِ مش عايزة أخرج».

علاقة وطيدة

تنطلق كَسَهم مُندفع فقد السيطرة على تحركاته، قافزة دَرَج المنزل. الوقت يداهمها بسرعة صاروخية، لا تعرف كيف تأخرت هكذا وهي تستعد. سيارتها ستساعدها اليوم حتماً لتُسرع كيفما يتراءى لها، لا مجال للتأخير اليوم. اليوم هو اليوم الذي تستعد له منذ نيفٍ وثلاثين عامًا، اليوم الموعد منذ زمن بعيد، أخيرًا ستمنح الفرصة لتعلن عن نفسها وكفاءتها بعد دراسات ورسالات كثيرة قامت بها وأعدتها، لتعلن عن جدارتها في المنصب الرفيع والكرسي المُشرف. وَجَت سيارتها وانطلقت بها فورًا دون تجهيز أو استعداد، تعلم أن سيارتها ستطاولها فورًا دون تأخير، بينهما علاقة حب متبادلة وتعلم جيدًا أنها لن ترد لها طلبًا، تناغم بينهما وبين مقودها ودواستها، لا أحد يجرؤ على تحريك مرآتها أو مقعدها أو تعديله. رفعت صوتها تُحدث نفسها وسيارتها بالتبعية «هلحق أوصل في الميعاد؟ صح؟». تُمنّي نفسها بالوصول في موعدها، وكأن السيارة ترد عليها فتشق عباب السيارات وتراوغ المارة برشاقة وخفة وانسيابية، تشكرها بضحكة خفيفة «أيوة كدا، إنتي إلي فاهماني». تتزايد ثقته في اللحاق بوظيفة أحلامها، تنطلق، تدوي بيق السيارة لتوسّع لنفسها مكانًا غير عابثة بنظرات من حولها لإزعاجها الفج. وليكن، لينظروا كيفما يشاؤون، لا تهتم الآن إلا بالوصول في الموعد. علاقة وطيدة تجمعها بسيارتها، بيتها الثاني، وصديقتها العزيزة. تسمعها فلا تشتكي ولا تتذمر، لا تكِل ولا تمِل منها، تعيش بها أحلى لحظاتها وأنعسها أيضًا، هي صديقتها تساعدها دومًا في الوصول إلى مُبتغاياها. ملاذها الآمن في الصيف والشتاء، تحت زخات المطر وهيب الشمس ووهجها، مُدليلتها هي،



تُفاجئها دومًا بكل ما هو جميل وجديد، لتكون دومًا في أهبى صورة بلونها الرصاصي الداكن وكراسيها المكسوّة بلون الدم الأحمر القاني، بألعاها الملونة المبهجة ورائحة عطرها المميز الذي يحوز إعجاب كل من يلجها. عالمها المنمق، مملكتها الخاصة وبصمتها الجميلة. ها قد أشرفت على الوصول وبقي أمامها أهم تحدي. أن تجد مكانًا بسرعة تترك فيه سيارتها ريثما تنتهي المقابلة. تأخذ شهيقًا عميقًا لتهدئ نفسها، وهي تربّت على المقود بهدوء تستدعيه استدعاءً، وكأن السماء استجابت لتطمئنّها، تُفاجأ بسيارة تُهم بالتحرك أمامها، هذه البساطة، يا لها من مفاجأة سارة وفأل حسن. هذا المكان الخالي دليل ورسالة أنها سوف تُوفّق وتكون الوظيفة من نصيبها، ويكون اليوم هو يوم حظها. ركنت سيارتها ومالت عليها تطبع عليها قُبلة شكر وامتنان وحب، تتمنى ألا تتأخر عليها بالعودة بالأخبار السارة، بأنها ستأتي بها هنا يومًا من الآن فصاعدًا، وتعدّها أن تُحضر لها هدية مناسبة لمساعدتها في الوصول لمبتغها على الموعد. هي تستحق ما ستحصل عليها اليوم حتمًا وبكل جدارة.

لماذا؟؟؟

حكمت المحكمة حضورياً بعشرة جنيهاً في قضية الفرش والغطاء، للمدعية «ص. م». يقع عليها الخبر كصاعقة أصابها حالة هستيرية من الضحك. تنظر إلى محامها -الذي سيأخذ أضعافاً مضاعفة للرقم الذي ذكر أتعاباً- وهو يسحبها خارج قاعة المحكمة. لا بد أنها سمعت الرقم خطأً. تسأل المحامي «ما الرقم الذي قاله القاضي؟ بالتأكيد لم يقل عشرة جنيهاً، بالتأكيد قال عشرة الآف». صمت محامها ونظرته للأرض خائباً أبلغ رد فعل يُخبرها الرقم الذي يود أن يقول.

تخرج من المحكمة وهي تنظر إلى الأعلى، الميزان، العدل أساس الحكم. لا تستطيع استيعاب الأمر، تترك نفسها وتتحرك دون تحديد وجهة محددة. تأخذها قدامها إلى جامعته دون قصد، المكان الذي شهد قصة ارتباطها بمن كان يوماً زوجها بعد تضحيات جسيمة ووعود كثيرة. نفس المكان لتحكي له ويكون شاهداً مرة أخرى على ما قد جرى وكان. كم شهد من وعود قامت حياتها بعد ذلك عليها، لم يكن من ضمن هذه الوعود اتفاقاً على النكوص بها، وخيانتها وتركها لتعيش بمفردها مع ابنتها، لم يكن من ضمنها أن يمنع عنها النفقة وأن يتركها مُعلقة تكافح للخلاص بحريتها، نكايه فيها، وبالتأكيد لم يكن من ضمنها أن يدفع عشرة جنيهاً كاملة نفقة فرش وغطاء. أبداً، لم يكن هذا هو العهد والوعد أمام الله وأمام الجميع، وأولهم هذا المكان. أخرجتها، عنوة، من ذكرياتها وأفكارها صيحات وصراخ وتهديد ووعيد لصراع غير تقليدي احتدم فجأة بين مجموعة من الفتيات بجوارها أثناء خروجهن من الجامعة، يشتعل الموقف سريعاً، وتتقاذف كل منهن



الأخرى بألفاظ نائية وسباب لا يليق حتى برجال عتاة في الإجرام والبلطجة والمجون، تتعجبه يصدر من قوارير جميلة فقدن كل أنوثتها وعدوبتها بتصرفات أقل ما يقال عنها أنها خارجة عن كل القيم والأعراف والتقاليد والأخلاق. يتطور الأمر ويظهر سبب الخلاف، إنهن يتشاجرن على علاقة مع أحد الشباب، من أحق به من الأخرى؟ ومن أخذته من من؟ ومن كانت على علاقة به قبل الأخرى؟ فجأة يظهر سلاح أبيض في يد إحداهن تحاول به تشويه غريمتهما، وتجاهد الفتيات بقدر المستطاع لفض النزاع دون حدوث خسائر. ببطء تتعد عن المكان بعد الزحام الذي أحاط بها جراء تجمع الشباب وزيادة التهديد والوعيد والويل والشبور للمعتدية لمن تسول لها نفسها يوماً خيانتها من منافسة لها أو حبيب على حد سواء. تتساءل، ما الذي يحدث؟ هل المحافظة على الحب والعشرة من الخيانة هذه الأيام يستدعي هذا العنف والتناول؟ هل أصبح الحب يحتاج إلى سلاح أبيض للدفاع عنه بين فراشات رقيقات؟ أم هو من يدافع عنا أمام الشدائد والمصائب والأزمات؟ وهل هذا حب أصلاً الذي ترفع فيه فتاة يدها وصوتها على أخرى لتحمي حياتها وماضيها أم حب امتلاك؟

يتزامن مرور موكب عروس بجانبها يهيم بها زوجها حباً، يختلج قلبها وهي تذكر اختلاج قلبها يوم زفافها، تجتاحها الذكريات والتساؤلات.

لماذا؟؟

لماذا تتبدل المشاعر وتتغير وتفقد رونقها؟

لماذا يتبدل الحال من لهفة وشوق إلى نفور وُبعد؟
لماذا تتغير الأفكار والمعتقدات والقيم والقناعات؟
لماذا لا يستمر الحب ويزيد وينهل منه جميع الأطراف؟
لماذا لا نتمسك بالقيم والمبادئ والأخلاق؟
لماذا تتغير نظرتنا لشريكنا رغم أنه لم يتغير فعليًا وإن تغير
تغيير للأفضل؟
لماذا نتعامل بأنانية مُفرطة وعدم اكتراث لمن كان يعني لنا العالم
بأسره؟

لماذا تبدأ حكاياتنا كلها مختلفة وتنتهي متشابهة إلا من رحم ربي؟
لماذا يكفر الناس بالحب ولا يؤمنون به بعد أن كان كل أملهم
وحلمهم ومرسأهم؟
لماذا لا تتريد أواصر المحبة والثقة وتصير أكثر قوة لأن هذا هو
تطورها الطبيعي؟
لماذا بعد أن كان هو الشريك والحبيب المثالي، أصبح أنأى ما
يكون عن المثالية والكمال؟
لماذا يتحول التفاهم التام والتواصل دون كلام إلى مشادة كلامية
وحرب أفكار؟

أين ذهبت العشرة والود والوصال؟ أين اختفت الذكريات
والمواقف؟ متى ضاع الحب والعشق والگرام؟ هل من خان يأمن
على نفسه من الخيانة؟ هل يأمن مكر الله؟ وأن تدور به الدوائر؟
وإلى متى يظن أنه سيكون بمنأى عن خيانتته التي خانها؟



تبدّل الحال، أصبح مرور الزمن عاملاً أساسياً في البُعد والهجر والخيانة، بعد أن كان سبب زيادة القرب والود والارتباط ببعضنا البعض أكثر من ذي قبل. تُفكر لماذا عندما أنظر عن كثب لزوج وزوجة في مقببل حياتهم وهم يتعاملان معاً، أجدهما يجملان أول أطفالهما وهو يتعلم المشي والكلام، تُشع فرحتهما وسعادتهما الجمّة ببعضهما البعض واعتزازهما بعلاقتهما ومنزلهما وإحساسهما بامتلاكهما العالم بأسره وفخرهما بإنجازهم وأسرتهما الصغيرة. أتأملهما بعد سبع سنوات من تلك اللحظة مع طفليهما، تغيرت نظرتي إلي بعضهما البعض، تحمل الكثير والكثير من الكلام الذي قيل ولم يُقال في تصريح، ولكن يُقال حتماً بالتلميح في كل تصرف وإيحاء وإيحاء، لم يعد للاهتمام بينهما مكان وأصبح أطفالهما هم الرابط الجبري بينهما. تبخّر الحب والود والوئام، عَجَبًا، أليس من المفترض أن يكبر معهم؟ أين ذهبت الأحلام العراض قبل الزواج وبعده؟ أين ذهبت السعادة المفرطة بعد أن امتلكوها؟ لماذا أصبح الفتور سيد الموقف؟ مهما بذل أحد الطرفين في إكمال الصورة - هذا إذا حاول أحدهما بذل جهد أصلاً - كي تستمر الحياة كأحسن ما يكون، يبدأ الآخر بالبعد رويدًا رويدًا، حتى يعتاد رفيقه على البُعد، ثم تبدأ مرحلة الشكوى والمشاكل في الظهور والطفو على السطح، بعد عشر سنوات لا يصبح للحب مكان، ولا للود والرحمة مجال، تنتهي العشرة بأسوأ سيناريو ممكن، ويصبح الأطفال أكبر متضرر على الدوام، في هذه اللحظة يتدخل الشيطان بكلام معسول لخيانة تدسّ السُم في العسل، خضوع بالقول والفعل.

خيانة عن طريق ارتداء عباءة الصديق والصديقة لبعض الوقت حتى تُسفر الخيانة عن وجهها القميء القبيح.

ويصبح المعشوق الجديد هو المخلص الوحيد، الذي سيصبح قديمًا حتمًا بعد وقت طال أو قُصُر بطبيعة الحال، ولكن بعد ضياع أحلام وآمال كانت ملء السمع والبصر، وينجح الخراب مع شيطان أنسي في نيل الهدف وسحق لبنة المجتمع سحقًا بخيانتته، وضياع أجيال على يد مصاصي الفرح، سارقي السعادة، هذأمي المنازل، مُدمري الأسر والبيوت، عليهم اللعنة إلى يوم يبعثون.

أعيها التذكر والتفكير وكثرة المشي، تحس أنها سوف تفقد الوعي، تدخل أول مكان يقابلها لتشتري حلوى لها ولابتها لتقيم صُلبها ريثما تعود لمنزلها، تدفع أربعين جنيهاً نظير بعض العصائر والشيكولاتة لن يطلع عليها الصباح، تبسم بمرارة وسخرية لحُكم حُكم لها في محكمة بقاضٍ ومحامٍ ودفاعٍ في قضية فرش وغطاء كاملة متكاملة الأركان بربع ما اشترت به بضع حلويات، فويل لقاضي الأرض من قاضي السماء.

كيسُ الحَلَوَى



وخطفِ كُلِّ منا حلواه، فتتلذذ بطيبها بغمنا وتستقر حلاوتها في قلوبنا ونستمتع بها ونسعدُ بحُبِّه.

كم كنت أشتقاق لكيس الحلوى خاصتي من أبي، لكنني حُرمت منه ولم أعد أحصل عليه، أبحث عنه عند كل صديق وجار، كنت أفرح لرؤيته حتى في عين ابن حارس عمارتنا عندما يأخذه من والده، أحس بغُصَّة في حلقي ومرارة بلساني وحسرة في قلبي ما زالت تلازمي ليوما هذا، فتسابق الدموع من عيني تؤلمني، تَقْر دون وعي وقصد مني.

لم أطلب الكثير من أبي، جُلُّ ما كُنت أتمناه كيس حلوى منه، كثير على والدي؟

صدقني، ليتك تسمعني الآن، اليُتْمُ الحقيقي أهون بكثير والدي، لمَ حَرمتني منك ومنه دون ذنب أو جريرة، أصبحتُ يتيماً فجأة وأنت على قيد الحياة، بيدك أنتَ أبي.

ناشدتُك كثيراً والدي. تذكّر، تذكّر أن تتذكرني كل ليلة وأنتَ تعود بكيس الحلوى خاصتي لغيري، وأن تعرف بعين قلبك أنني أفتقدته منك وبشدة، وكنت أنتظره كل يوم من غيرك أيضاً، ولكن دون لهفة وبهجة، فَرَحَة مبتورة الأطراف لا لون لها ولا طعم ولا رائحة، فرحة منقوصة فقدت كل زينة وبهجة وفقدت بها الحلوى كل أثر للسُكَّر فجأة.

بغته أصبحتُ مُرَّة كالعقم، لفظتها وقاطعتها بحزن وشجن وكسرة خاطر تُدمي قلبي وروحي وأنا أتذكر سعادتي بكيس الحلوى خاصتي منك أبي.

أه يا حبيبتي ومُهجة فؤادي، كان هذا في الماضي البعيد. أما اليوم، أعدكُ ابنتي الغالية ياسمين بأكياس وأكياس من الحلوى ذهبت لغيري في زمن مضى وانقضى.. أعيدها إليك بكل شوقي وحبّي وقُبلاقي آخر كل يوم، أسعدُ بفرحتكُ بها بعد عودتي، وصوت ضحكاتكُ وصرخاتكُ الطفولية البريئة يملأ ويعم أرجاء المنزل وأنت تمزقين أكياس الحلوى بكل لهفة وتستمتعين بحلاوتها بحب وراحة وأمان بين ذراعي، كأنما الكون بأسره يضمكُ ويغنجكُ.

أستعيد بكل كيس حلوى جديد أجلبه لكُ يومياً، يوماً حُرمتِ ويُتمت فيه قبل موعدي، وأمسح بكل قطعة حلوى جديدة المأ قديماً، فَتّ عضدي سابقاً وشدّ أزري لاحقاً، وأنا أرى سعادتكُ وهناءكُ بكيس الحلوى خاصتي.

أعدكُ ياسميتي، سأصحح بكُ خطأ كل أب يارادته يوماً تخلى عن جلب الحلوى، وأزرع بقربكُ جنتي.

سكن

تصلُ إلى الموعد في وقتها، المكان المُتَّفَق عليه للقاء مغلق لسنوات وسنوات وسيفتح اليوم لأول مرة لعدم توفر مكان آخر للقاء. تدخل وزملاؤها إلى الشقة الخالية الساكنة كقبر ينتظر سكانه البعث من جديد. تُفتح النوافذ المغلقة ويبدأ النور في التسلسل باستحياء وببطء إلى المكان ويتغلغل الهواء فيغيِّر رائحة الجو الراكدة بفعل غلقه مدة طويلة. الأتربة تغطي المكان ولكنك تحس بأنها ترحب بك وتستقبلك، لسان حالها يقول «أخيرًا جاء من يرحبنا ويجد نشاطنا». لكل ركن حكاية ولكل برواز قصة. تكاد الورود ترقص فرحة في مزهرياتها، أخيرًا جاء من يشاهد جمالها الخلاب ورونقها وتألقتها رغم مُضي الأعوام وخُبو الألوان. الرسومات المبهجة على الحائط تنافس بشراسة الورود الناعمة لتلفت انتباهنا وتحظى بنظرة واهتمام، الصور والكتب في المكتبة تناديك، هَلُمَّ إِلَيَّ تفقدني، مللت الانتظار، برواز لرحلة مدرسية صاحبة وصورة لرضيع ضاحك أمسى كهلاً. قصص ومغامرات متراصة تحملها دفتي الكتب لُتقرأ وتُفهم، أهملت وأصبحت طي النسيان. يا إلهي! هذه المائدة الكبيرة وكراسيها الجميلة العتيقة تترجاني دون صوت أو حركة، هَلُمَّي، تعال، اجلسي، كم اشتقت الضحكات والهمسات، كم افتقدت روح الأسرة والأحبة، كم أتمنى أن تُوضع عليّ وجبة شهية صُنعت بمهمل وصبر بكل حب وفن لمن نحب تتصاعد رائحتها الزكية فتجمع الأهل والأحباب على ضحكات صافية وهمسات مُجبة. تحس أنها تختزل أصواتًا وأناسًا بداخلها لتظل على قيد الحياة، تحبهم وتشتاق لهم، تعرف أنهم تفككوا في عباب الحياة، وذهب ورحل منهم الكثير ولكنها تحتويهم بداخلها ولا تكتفي بذلك،



تكاد تنطق «أخبريهم بأني أريد رؤيتهم، ذكرهم بأيامهم معي، أرجوك لا تدعيهم ينسونني في غمار الحياة ومشاكلها، فليأخذوني معهم حتى في صُورَة صُورَة أو ذكرى باقية دافئة، زهدت الوحدة وزاد الملل، أريد حياة هائلة زاخرة بالأحداث والمناسبات، أساعد فيها بوجدوي وقوه تحملي وأتجمل فيها يومياً لاستقبال الزائرين من جيران وأصحاب». تخاطبها وترجاها بسكينة ووداعة «لا تتعاملوا معنا كجمادات، نحن نحس ونشعر ونبادلكم حباً بحب وشوقاً بشوق، فبادلونا المحبة والاهتمام».

الرحلة

أعدَّ العُدَّةَ لرحلته القادمة، كبسولة من الفيتامينات وجرعة ماء على شكل قطرة جلاتينية. رحلة يتجهز لها منذ أعوام للعودة إلى كوكبه الأم، آخر الاستعدادات الشاقة الطويلة التي مرَّ بها ليُثبِتَ أحقيته في هذه الرحلة. وصل إلى قاعة الانطلاق، وبدأ العد التنازلي للرحلة الكونية القادمة. تأكد من وجود كل ما يحتاجه معه، خاصةً بصمة قلبه، التي ستفتح له أبواب المصعد الكوني. فتح الباب وأخذ مكانه، يُمِرُّ عليه رُبان الرحلة ليتأكد من استيفاء جميع الشروط وتعليقات الرحلة، أخبره أن أمامه ساعة واحدة فقط ليكونوا على كوكب الأرض، الرحلة المنتظرة منذ فترة طويلة، وهنأه على سلامة الوصول مسبقاً. تم الانطلاق، وبدأ الهبوط الجنوبي للمصعد ومعه كل أمانيه وتصوارته عن كوكبه الأم، أحسَّ بالرغبة في عدم الرحيل، خوف من المستقبل والمجهول رغم احتياجه للمغامرة والاكتشاف، ورغم استعداده الطويل لهذه الرحلة وهذا القرار، ولكن سبق السيف العزل، لا رجوع الآن، دقائق ويصل المصعد لمكان توقفه ويفتح الباب. لحظات طويلة تمر عليه وهو متحفز لما هو قادم، يستعد لما لا يعرفه وما لا يتوقعه. فَتَحَ الباب مع إضاءة مُبهرة حارقة أدمت عينيه، ظل في مكانه يُحدق فيما يرى من رمال لا متناهية لا تعرف لها أولاً من آخر، صحراء صفراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء، تنعق فيها الغربان. هل هذا هو كوكب الأرض الجنة التي كان ينتظر بفارغ الصبر ليصل إليها؟ تراجع ليعود مع المصعد إلى عالمه، ولكن هيهات، انطلق المصعد من حيث أتى، وتركه هائماً على وجهه في الصحراء.



يفيق يتفصد عرقاً من النوم، من جراء خوفه وفزعه وحرارة
شمس الصحراء القاحلة في هذا الحلم، أدرك أن هذا الحلم رسالة
له، لينتبه أن أمنيته المرتقبة منذ أمد بعيد ليست هي طوق النجاة
والأمل الوحيد في حياة أفضل. سيحاول تحسين حياته الحالية أيضاً
والاستمتاع بها، عن مغامرة قد تُسفر عما لا تُحمد عقباه، ظاهرها
الاستقرار وباطنها التيه والندم والضياع.



الفهرس

٥	إهداء
٩	المقدمة
١١	تزویر
١٥	صُدفة
١٩	اختیار
٢٥	التوأم
٣٣	المعاش
٣٧	المولد
٤٣	صالح
٤٧	ذهب
٥١	جمیلٌ جمیلٌ
٥٧	أجلٌ غیر مُسمّى
٦٣	التلفریك
٦٩	الرابط العجیب
٨٣	إسقاط الواجب
٨٧	علاقة وطیدة



- لماذا؟؟؟ ٩١
- كيسُ الحلوى ٩٩
- سكن ١٠٥
- الرحلة ١٠٩

لمتابعة الكتابة و التواصل معها عبر حسابها على الفيس بوك:

Somaya Saad Dwaidar

وعبر البريد الإلكتروني:

Email: sam4somaya@gmail.com

للكل
للنشر
والتوزيع